رجل المستحيل

أرض الأهوال

١٣

باسل

www.helmelarab.net

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

رجل المستحيل ● (١٣) أرض الأهوال ● المؤسسة العربية الحديثة

المؤلف
د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

١٣

الثمن فى مصر
وما يعادل دولارًا أمريكيًا
فى سائر الدول العربية والعالم

● أرض الأهوال ●

● ما هى منظمة (سكوربيون) ؟ ولماذا سرق جواسيسها أسرارنا العسكرية ؟
● ما سر هذه الجزيرة التى تتخذها المنظمة وكرًا لها ؟
● ترى هل ينجح (أدهم صبرى) فى اقتحام أرض الأهوال ، واستعادة الأسرار المسروقة ؟
● اقرأ التفاصيل المثيرة لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) .



لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات الحربية ، لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـ ظلال الحزن ..

أشرقت شمس الصباح على شاطئ مرسى مطروح ، وألقت بضوئها على سطح البحر وأمواجه التى تمايلت بشكل بديع ، وتألقت انعكاسات الضوء ، لتسقط الأشعة الدافئة فوق الصخور الضخمة المتناثرة على الشاطئ ، ملقية بظلالها الداكنة فوق الرمال ، التى تلألأت كحبيبات من ذهب خارج الظلال ..

ووسط هذا المشهد الرائع كان هناك رجل طويل القامة ، عريض المنكبين ، يسير بتمهل ، حيث تتكسر الأمواج فوق الشاطئ ، وقد ارتدى (بنطلونا) أزرق ، يشبه ذلك الذى يرتديه رعاة الأبقار الأمريكيون ، وقميصًا أبيض اللون ، وقد شمّر أكمامه حتى منتصف ساعديه ...

ولو أننا اقتربنا من هذا الرجل لوجدنا أن شعر لحيته قد نما بشكل يؤكد أنه لم يحاول حلاقتها منذ ما يقرب



لا يستطيع أحد أن يجزم كم مر من الوقت ؟
حتى الرجل الذى طال جلوسه وشروده كتمثال من التماثيل ..

من الأسبوع ، وأن حاجبيه قد التقيا بشكل يجمع بين الحزن والتفكير العميقين .. وأن عينيه تلقيان بظلال أشد دكانة مما تلقى به الصخور .. ظلال من حزن عميق .. عميق .. حتى أنك تشعر وكأن هذا الحزن قد انتقل إلى قلبك بمجرد أن تقع عيناك على وجهه ...

توقف الرجل لحظة تأمّل خلالها شروق الشمس بشيء من اللامبالاة قبل أن يركل حصاة صغيرة من تحت قدميه إلى وسط الأمواج ، ثم تابع سيره ، حتى اقترب من إحدى الصخور المرتفعة ، وتسلّقها برشاقة مثيرة للإعجاب ، واستقر جالسا فوقها ، وأحاط ساقيه اللتين انثنيتا نحو صدره بذراعيه ، وبدت نظراته شاردة وهو يحدّق بلا شعور فى الأمواج التى تناثر رذاذها وهى ترتطم بالصخور فى نعومة ، ثم تنحسر بهدوء محدثة لحن الطبيعة الخالد .

لا يستطيع أحد أن يجزم كم مر من الوقت ؟. حتى الرجل الذى طال جلوسه وشروده كتمثال من التماثيل

الرومانية القديمة دون أن يبدل حتى ساقيه .. ولكن أشعة الشمس كانت قد غمرت الشاطئ بأكمله ، وانتشر الدفء فى كل مكان ، وكانت الظلال الداكنة قد تراجعت ، حتى لم تعد تمثل ربع ما كانت عليه فى لحظة الشروق ، عندما أشار رجل عجوز من بعيد إلى الصخرة التى استقر فوقها الرجل ، وقال محدثًا الرجل الطويل ، صاحب الشارب الرفيع ، الذى أصرَّ على ارتداء حلة كاملة ، ورباط للعنق برغم دفء الجو :

ـ ها هو ذا الرجل الذى تبحث عنه .. كنت واثقا من أننا سنجده فى هذا المكان ، فهو لا يغادره مطلقا حتى غروب الشمس ، وكأنه ينتظر رسالة هامة تأتى إليه عبر أشعتها .

ابتسم الطويل صاحب الشارب ابتسامة آسفة وهو يقول بهدوء :

ـ إنه كذلك بالفعل يا صديقى .

سأله العجوز بفضول عجز عن إخفائه :

ـ ما العمل الذى يتولاه صديقك هذا ؟.. يقولون فى البلدة : إنه رجل ثرى ، فقد أمواله فى مضاربة خاسرة ، أو شىء من هذا القبيل ، وهذا ما يسبب له كل ذلك الحزن .

تأمل صاحب الشارب الرفيع صاحبه الذى يجلس فوق الصخرة ، ثم قال :

ـ إن هذا الرجل من أعظم من أنجبتهم مصر أيها الرجل .. والنقود لا تسبب له الحزن على الإطلاق ، بل إنها آخر ما يمكن أن يفكر فيه .

عاد العجوز يسأله بفضول أشد :

ـ هل فقد شخصا قريبا إلى قلبه ؟.. زوجته أو أحد والديه ؟

هزّ صاحب الشارب كتفيه ، وتجاهل هذا السؤال الأخير ، وقال وهو يتقدم بهدوء نحو الصخرة :

ـ شكرا على مساعدتك يا سيدى ، وأرجو أن نلتقى مرة ثانية بإذن الله .

ظلّ العجوز يتأمل الموقف لحظة ، ثم هز كتفيه وكأنما الأمر لا يعنيه ، واتخذ طريق العودة وهو يتمتم بخيبة أمل ، تختلط بقليل من الغيظ :

ــ هذا السخيف يتهرّب من إجابة تساؤلاتى بعد أن عاونته فى الوصول إلى هنا .. لا علينا فلندع الخلق للخالق .

تسلّق صاحب الشارب الصخرة التى يجلس فوقها زميله ، واقترب منه بهدوء ، وبعد لحظة من التردد قال :

ــ صباح الخير يا (أدهم) .. لقد مضى ما يقرب من الشهر دون أن نلتقى .. كيف حالك ؟

قال (أدهم) بصوت حزين دون أن تتغير جلسته :

ــ مرحبا بقدومك يا (حازم) .. ترى أى أخبار تحملها لى ؟

صمت المقدم (حازم) لحظة قبل أن يقول :

ــ ما زالت (منى) ترقد فى غيبوبتها العميقة

يا (أدهم) للأسف ، ولكن الدكتور (أحمد صبرى) شقيقك يقول : إن الإشارات التى ترسلها أنسجة مخها قد تحسنت كثيرا .

سرت ابتسامة حزينة على شفتى (أدهم) وهو يقول :

ــ إذن فالأمر كما هو منذ شهرين يا صديقى .. يا إلهى !! كم أتمنى لها الراحة حتى ولو كانت فى وفاتها .

أطرق المقدم (حازم) بأسى ، وساد الصمت بينهما أكثر من دقيقة ، قبل أن يقول محاولا التظاهر بالمرح :

ــ لا بدّ أن عطلتك الطويلة هذه قد أصابتك بالملل يا صديقى ، أليس كذلك ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة باهتة دون أن يعلق على قول زميله الذى تنحنح بحرج ، وقال :

ــ معذرة يا (أدهم) ، ولكننى قد أتيت فى مهمة رسمية .. قد تكون ظروفك النفسية غير ملائمة ، ولكن

مدير المخابرات يطلبك بصورة عاجلة .. يبدو أن لديه مهمة خاصة من ذلك النوع الذى يحتاج إليك شخصيا .

* * *



٢ ـ المهمة الخاصة ..

ابتسم مدير المخابرات وهو يشير إلى (أدهم) بالجلوس على المقعد المواجه لمكتبه ، ومضت فترة شملهما الصمت خلالها قبل أن يقول مدير المخابرات بلهجة ودودة خانية ، تختلف عما اعتاد التحدث به فى أثناء العمل :

ـ كيف حالك يا (أدهم) ؟.. لقد طالت عطلتك هذه المرة .

ظلت ملامح (أدهم) جامدة وهو يقول بلهجة رسمية :

ـ إننى فى خير حال يا سيدى ، شكرا لك .

عاد الصمت يلفهما مرة أخرى قبل أن يقول مدير المخابرات بلهجة جادة :

ـ أتعشم ألا تكون تلك العطلة الطويلة قد أثرت فى

لياقتك وسرعة استجابتك المعهودة أيها المقدم ، فأعتقد أنك ستحتاج إليهما جيدا فى هذه المهمة التى أنوى إسنادها إليك وإلى زميلتك .

رفع (أدهم) رأسه بغتة ، وضاقت حدقتاه وهو يحدّق فى وجه مدير المخابرات بدهشة مما دفع هذا الأخير لأن يقول بصرامة :

ــ عندما أقول زميلتك فإننى لا أعنى بالضرورة النقيب (منى توفيق) أيها المقدم فإننا نضع عواطفنا عادة داخل خزانة حديدية سميكة عندما يتعلق الأمر بالعمل ، أو بمصالح مصر فى الداخل أو الخارج .

عادت ملامح (أدهم) تكتسى بالجمود ، وهو يعود للاستناد على مقعده متمتما :

ــ فليكن ما تريد يا سيدى .

انحنى مدير المخابرات ليضغط على زر (الدكتافون) أمام مكتبه ويقول :

ــ اطلبوا من الملازم (هويدا كمال) الحضور إلى مكتبى فورا .

ثم رفع إصبعه عن زر الاتصال بالجهاز قبل أن يتلقى ما يؤيد تنفيذ أوامره ، وتناول ملفا صغيرا فتحه ، وأخذ يقرأ ما به بصوت مرتفع قائلا :

ــ الاسم : (هويدا كمال عبد المنعم) ..

الرتبة : ملازم أول ..

السن : ستة وعشرون عاما .. اجتازت تدريبات الرماية واختبارات الأسلحة والقيادة بدرجة ممتاز ، تجيد التحدث بالإنجليزية والفرنسية والألمانية بطلاقة .

وأغلق الملف وهو يتابع قائلا :

ــ كما أنها حاصلة على الحزام الأسود فى رياضة (الكاراتيه) .. إنها الزميلة الملائمة لك أيها المقدم .

لم تهتز عضلة واحدة فى وجه (أدهم) وهو يقول بشرود :

ــ إننى أفضل العمل وحدى يا سيدى .

زفر مدير المخابرات بضيق ، وهمّ بالتحدث عندما سمع طرقات رقيقة على باب حجرته ، فطلب من الطارق

الدخول .. وبهدوء دلفت إلى داخل الحجرة فتاة متوسطة الطول ، مستطيلة الوجه ، لها أنف صغير ، وفم مستدير ، مكتظ الشفتين ، بيضاء البشرة ، ينبعث من عينيها الزرقاوين بريق ينم عن ذكاء حاد ، على حين يشير حاجباها الرفيعان إلى العزم والإصرار ، وقليل من القسوة ، وقد تهدلت خصلة من شعرها الكستنائى القصير فوق جبينها ، فأضفت على مظهرها انطباعا بالاستهتار لا يتفق مع عمل المخابرات ، وساعد على ذلك الانطباع (بنطلونها) الأزرق المصنوع من قماش (الجينز) ، وسترتها القصيرة المصنوعة من القماش ذاته ، وقميصها الأبيض الناصع ..

أدت الفتاة التحية العسكرية بثبات ، ثم انتقلت عيناها إلى (أدهم) ، الذى أخذ يتأملها بملامحه الجامدة ، وإن ارتسم فى عينيه عدم الرضا ، وأدهشته تلك الابتسامة المتحدية التى تراقصت على شفتى الفتاة قبل أن يقول مدير المخابرات :

— هذه هى الملازم (هويدا) زميلتك الجديدة أيها المقدم ، يمكنكما أن تتعارفا بعد الخروج من مكتبى ، أما الآن فسنتحدث فى العمل .

جلست (هويدا) على المقعد المواجه لـ (أدهم) دون أن ترفع عينيها عن وجهه ، وازدادت ابتسامة التحدى على شفتيها وضوحا ، ولكنه لم يهتم بها ، بل التفت إلى مدير المخابرات الذى أخذ يقول :

— وجهتكما هذه المرة ستكون جزيرة صغيرة ، تتبع البرازيل ، وهذه الجزيرة قد لا تجدونها على معظم الخرائط المتداولة ، فهى صغيرة إلى حد أنها لا تُمثَّل إلا بنقطة صغيرة فوق خريطة ضخمة ، وبرغم صغر هذه الجزيرة فهى مركز لأخطر منظمة جاسوسية خاصة عرفها العالم .. إنها منظمة تطلق على نفسها اسم (سكوربيون) أو العقرب باللغة الإنجليزية .

ثم مال نحو (أدهم) وسأله باهتمام :

— هل لديك معلومات كافية عن منظمة

(سكوربيون) أيها المقدم ؟

حرّك (أدهم) رأسه بهدوء علامة النفى دون أن تتغير ملامحه الجامدة ، وهمّ مدير المخابرات بشرح الأمر عندما أسرعت (هويدا) تقول :

ـ بحسب معلوماتى فإن هذه المنظمة قد تكوّنت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية يا سيدى ، وكان هدفها فى البداية الحفاظ على السلام فى العالم بكشف كل الأسرار العلمية التى تتعلق بالأسلحة والأمور الحربية ، حتى يصبح العالم كله على قدم المساواة ، فلا تفكر إحدى الدول فى محاربة الأخرى ، ما دامت لا تمتلك أسلحة أكثر تطورا وسرية ، وعندما تبين لأفراد (سكوربيون) استحالة نجاح هذا الأسلوب بسبب التباين الواضح فى اقتصاد الدول ، وقدرة شعوبها على التطور ، تحولت من منظمة داعية للسلام إلى منظمة جاسوسية دولية ، تحصل على الأسرار العسكرية للدول بكل الوسائل الممكنة ، وتعرضها للبيع لمن يدفع المقابل

الأعلى .. وهذا المقابل لا يحتوى أبدا على أقل من الأصفار الستة .

انتظر (أدهم) حتى انتهت (هويدا) من حديثها ، ثم قال بهدوء :

ـ نسيت أن تضيفى أن أحد الجواسيس التابعين لهذه المنظمة قد تم القبض عليه وإعدامه هنا فى مصر منذ شهر واحد أيتها الملازم ، ولكن هذه المعلومات لا يمكن أن يطلق عليها اسم معلومات كافية .

احتقن وجه (هويدا) ، وتشربت بشرتها البيضاء بحمرة الغيظ ، فقال مدير المخابرات بصرامة :

ـ فلنؤجل محاورة المعلومات هذه إلى ما بعد خروجكما من هنا ، ولننتقل إلى المهمة التى نحن بصددها .. إن حادثة هذا الجاسوس صحيحة أيها المقدم ، وإن كانت الصحف المصرية لم تشر إلى انتمائه إلى منظمة (سكوربيون) ، ربما لأن قليلين هم الذين يعلمون بوجودها ونشاطها ، ومهمتكما تتعلق بالقضية

نفسها ، فلقد كشف رجالنا مؤخراً أن هذا الجاسوس لم يكن منفردًا ، وإنما كان له شريك ، وهذا الشريك غادر القاهرة قبل ساعات من افتضاح أمره متوجهًا إلى البرازيل ، وبحوزته فيلم من أفلام الميكروفيلم ، يحتوى على نفس المعلومات العسكرية ، التي أعدم زميله بسببها ، ومن المرجح أن هذا الشريك قد انتقل فور وصوله إلى جزيرة (تيرور) التى سبق أن تحدثنا عنها .

صمت مدير المخابرات لحظة حتى يضمن استيعابهما للمعلومات التى أخبرهما بها ، ثم تابع قائلا :

— ومهمتكما هى منع وصول هذه المعلومات إلى المخابرات المعادية مهما كان الثمن .

برقت عينا (هويدا) بسعادة ، على حين ظلت ملامح (أدهم) جامدة وهو ينظر إلى وجهها بدهشة قبل أن يستمع إلى مدير المخابرات ، وهو يناوله ملفا صغيرا ويقول :

— ستجد فى هذا الملف كل ما أمكن جمعه من

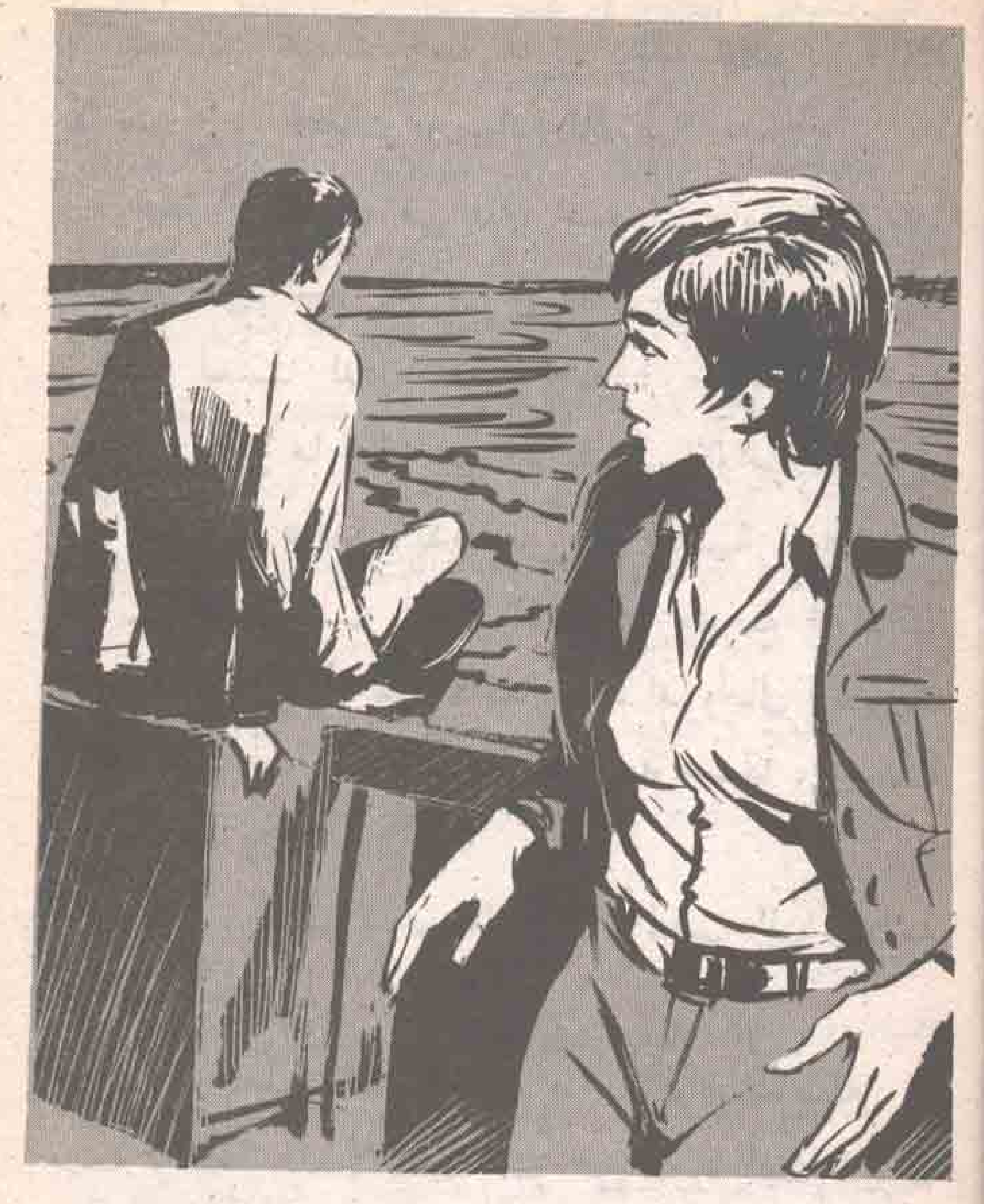
معلومات عن جزيرة (تيرور) أيها المقدم .. لقد جمعها رجال مكتبنا فى البرازيل ، ولقد أبرقوا إلينا يقولون : إن التسلل إلى هذه الجزيرة بدون موافقة أصحابها يعد مستحيلا ، وما أن قرأت الكلمة الأخيرة حتى قدرت أنك الرجل المناسب لهذه المهمة يا (أدهم) .

تراقصت ابتسامة ساخرة على شفتى (هويدا) وهى تتطلع إلى (أدهم) قائلة :

— بالطبع .. ألا تطلقون عليه لقب رجل المستحيل ؟

* * *





استندت (هويدا) بمرفقيها على سور الكورنيش الأنيق ، الذى يطل على ساحل مدينة (ريوديجانيرو) ..

٣ ــ الخدعة ..

استندت (هويدا) بمرفقيها على سور الكورنيش الأنيق ، الذى يطل على ساحل مدينة (ريوديجانيرو) الميناء البرازيلى الشهير ، وتطلعت إلى (أدهم) الذى جلس بتراخ فوق السور ، وقد تعلق بصره بأمواج المحيط الإطلنطى ، ثم تنهدت بضيق ، وقالت بلهجة لا تخلو من السخرية :

ــ لماذا لم تخبرنى أيها المقدم أننا قد قدمنا إلى (ريوديجانيرو) للاستجمام ؟.. لقد كنت أظن أننا بصدد مهمة ما !.

أجابها (أدهم) بهدوء وبلا مبالاة :

ــ لا تتعجلى الأمور أيتها الملازم ، من المفروض أن نبدو كسائحين لا كفردين من أفراد المخابرات الحربية .

قالت (هويدا) بحنق :

ـ إذن فهناك خطة ما !.. هذا عظيم .. ولماذا لا تشرح لى خطتك يا سيادة المقدم ؟

هبط (أدهم) من فوق السور ، وأمسك بيدها ليجبرها على السير بجواره وهو يقول :

ـ ليست لدى خطة محدودة حتى الآن أيتها الملازم .. كل ما أطلبه هو أن تطيعى الأوامر .

جذبت (هويدا) يدها من كفه بعصبية ، وقالت :

ـ لقد درست أمورا مخالفة فى مدرسة المخابرات يا سيادة المقدم .. لقد تعلمنا هناك أن رجال المخابرات لا يتحركون أبدا بدون خطة مدروسة مسبقا ، ومنفذة بكل عناية ودقة ..

توقف (أدهم) عن السير ، والتفت إليها بملامحه الجامدة ، وقال :

ـ ألم تتعلموا أن كل فرد من الأفراد المشتركين فى مهمة واحدة قد لا يعلم أكثر من دوره فقط ؟ وأن إطاعة الأوامر بدقة ودون مناقشة هى الركيزة الأساسية

التى تضمن النجاح فى عمل المخابرات ؟ وأنه من الخطأ ذكر الرتب أو المراكز الحساسة فى أثناء العمل ؟

ارتبكت (هويدا) ولم تستطع أن تحير جوابا ، فواصل (أدهم) سيره ، وتحركت هى إلى جواره ، ومضت فترة طويلة من الصمت قبل أن يقول :

ـ سنتناول طعام الغذاء فى هذا المطعم الصغير على الجانب الآخر من الطريق أيتها الزميلة ، وأرجو ألا تنسى أننى أدعى (إبراهيم صالح) ، وأنك زوجتى (سامية) وأرجو أن تساعدينى على التظاهر بأننى مخمور .

ابتسمت (هويدا) بخبث وهى تقول :

ـ إذن فهذا المطعم الصغير هو أحد أوكار (سكورپيون) .

بدأ (أدهم) يسير بشكل متخبط ، ورفع عقيرته بالغناء وهو يضحك بشكل يوحى للجميع بأنه مخمور ، حتى أصغر شرايينه ، واعتمد بذراعه على كتف (هويدا) وهو يدفع باب المطعم صائحا بمرح

مصطنع ، وبصوت أجش مستخدمًا لغته العربية :

ـــ ها هو ذا أخيرا جحر نتناول فيه غذاءنا .. هلم أيها الساق ، أحضر أفضل ما لديك من الأطعمة والمشروبات .

التفت إليه روّاد المطعم الصغير بضيق وهو يلقى بنفسه فوق مقعد خشبى أمام منضدة مستديرة ، ولم تكن (هويدا) بحاجة إلى الافتعال وهى تقول للساق بحرج شديد وباللغة الإيطالية :

ـــ معذرة فقد تناول زوجى الكثير من الخمر ، وهو بحاجة إلى كوب من القهوة المركزة قبل تناول الغذاء .

قهقه (أدهم) ضاحكا بطريقة توحى بأنه حقا مخمور ، وصاح بالعربية :

ـــ لا تخشى شيئا يا زوجتى العزيزة ، إن الخمر لا يؤثر فىّ على الإطلاق ، وهم يعلمون ذلك فى وزارة الحربية وإلا ما عهدوا إلىّ بكل هذه الأسرار الخطيرة .

هنا هبَّ أحد الجالسين فى المطعم ، وكان شابا أسمر

البشرة ، توحى ملامحه بأنه من أصل عربى ، وصاح بغضب متعمدا التحدث باللغة الإسبانية التى تتحدث بها البرازيل :

ـــ اصمت أيها الرجل .. من العار أن تقول : إنك شخص مؤتمن على الأسرار الحربية الخطيرة فى بلادك .. كان من الأولى أن تحتفظ بهذا السر .

ظهر الحرج على وجه (أدهم) وهو يقول بلهجة تنم عن الاعتذار :

ـــ معذرة أيها الرجل .. من الأفضل أن ننسى جميعا ما تفوهت به .

ثم التفت إلى (هويدا) ، وأشار إليها بعصبية قائلا :

ـــ هيا بنا يا زوجتى العزيزة لن أتناول شيئا هنا .. دعينا نعد إلى فندقنا .

لم تفهم (هويدا) ما يرمى إليه (أدهم) ، لكنها مدت ذراعها لتعاونه على النهوض باستسلام عندما أفلتت ذراعه منها بحركة بدت طبيعية تماما ، وسقط على

الأرض ، وهنا تقدم منهما رجل فى حدود الأربعين عمرا ، وسيم الملامح ، حليق اللحية والشارب ، وخط الشيب سالفيه ،مما أضفى على ملامحه وقارًا وهيبة .. تقدم منهما الرجل ، وقال لـ (هويدا) بابتسامة مهذبة وهو يعاون (أدهم) على النهوض :

ـ لا عليك يا سيدتى .. يسعدنى أن أوصلكما إلى الفندق بسيارتى .

* * *

ظلت (هويدا) صامتة فى أثناء انطلاق السيارة نحو الفندق ، وهى تتساءل فيما بينها وبين نفسها عن السبب المنطقى لما حدث ، وعن النتيجة التى يتوقعها (أدهم) من هذه التمثيلية المحبوكة ، ثم اختلست النظر إلى قائد السيارة ، وعادت تتساءل : إذا ما كان أحد أفراد (سكوربيون) .. ولكن كيف يمكن التأكد من ذلك .. ولم يطل صمتها إذ قال الرجل ببساطة وكأنه يحاول تحطيم الصمت :

ـ أنتما عربيان .. أليس كذلك ؟

أجابته (هويدا) بالإيجاب قائلة :

ـ بلى .. مصريان على وجه التحديد .

انفرجت أسارير الرجل وهو يقول :

ـ هذا عظيم .. إننى أحب مصر .. معذرة لقد سهوت عن تقديم نفسى .. إننى أدعى (سيمون دوريل) رجل أعمال هنا فى البرازيل ، ولدىَّ عدة مكاتب منتشرة فى الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا والشرق الأوسط .

انتظر الرجل حتى تمتمت (هويدا) ببعض عبارات المجاملة ، ثم قال :

ـ أعتقد أن زوجك رجل عسكرى حسبما فهمت .

هزت (هويدا) رأسها نفيا ، وقالت :

ـ إنه ليس كذلك ، ولكنه يعمل فى جهة عسكرية ، فهو أمين محفوظات فى وزارة الحربية .

تمتم (سيمون) بلهجة تدل على الرضا :

ـ هذا عظيم .

ولكنه عاد يسألها بشك :

ـ ولكن هل يسمح راتبه بسفركما إلى المكسيك ؟

أجابت (هويدا) بهدوء :

ـ لقد آل إليه بعض المال عن طريق الميراث أخيرا ، وهو رجل مسرف للغاية .

تراقصت ابتسامة على شفتى (سيمون) وهو يقول :

ـ هذا نوع الرجال الذين أفضلهم يا سيدتى .. استعدى فقد وصلنا إلى الفندق .

* * *

عاون (سيمون) (هويدا) على وضع (أدهم) متظاهر بالنوم فوق فراشه فى حجرة الفندق ، ثم قال وهو يرتب ثيابه :

ـ أعتقد أنه سينام وقتا طويلا يا سيدتى .. سأحضر فى المساء للاطمئنان عليه ، وأعتقد أنه

سيحتاج إلى بعض القهوة فور استيقاظه .

شكرته (هويدا) بحرارة ، واعتذرت له عما سبباه من إزعاجه ، وودعته حتى باب الحجرة ، وما أن أغلقته خلفه حتى قفز (أدهم) من فراشه ، وأسرع إلى نافذة الغرفة يتطلع منها مستترا بالستائر وهو يقول :

ـ لقد التقطوا الطُّعم أيتها الملازم .. أعتقد أن هذا الجزء من الخطة قد مرَّ بنجاح .

زوت (هويدا) ما بين حاجبيها ، وقالت :

ـ إذن فأنت تعلم مسبقا أن (سيمون) هذا أحد عملاء (سكوربيون) ؟

قال (أدهم) بهدوء :

ـ بالطبع أيتها الملازم .. إن هذه التمثيلية قد تم إعدادها بدقة ، ولقد كان (سمير) موفقا عندما أعاد عبارتى بالإسبانية متظاهرا بتأنيبى .

ابتسمت (هويدا) بمزيج من الغيظ والسخرية وهى تقول :

ـ إذن فهذا الشاب الأسمر فى المطعم زميل لنا ..
يا للسخرية !! إذن فأنا آخر من يعلم .

تجاهل (أدهم) غضبها ، وقال متابعا :

ـ لن تجد (سكوربيون) أفضل من هذه الملابسات .. أمين محفوظات وزارة الحربية بنفسه بين أيديهم ، وهو رجل مسرف ، ومدمن خمور ، ويعرف الكثير من الأسرار .. إنه طُعْم لن يمكنهم مقاومته أيتها الملازم .

قالت (هويدا) بتهكم :

ـ إنك لن تخدع طفلاً بهذه الطريقة الساذجة يا سيادة المقدم .

ظلّ (أدهم) يراقب (سيمون) حتى انطلق بسيارته ، ثم التفت إلى (هويدا) وقال :

ـ ليس من السهل خداع الأطفال على عكس ما يظن البعض أيتها الملازم ، ولكن من الأسهل خداع منظمة تثق فى قدراتها إلى حد الغرور مثل منظمة (سكوربيون) .

سألته (هويدا) بسخرية :

ـ وماذا تتوقع منهم أن يفعلوا ؟

جلس (أدهم) بهدوء على حافة الفراش ، وقال وهو يخرج مسدسه من سترته :

ـ سيختطفوننا بلا شك أيتها الملازم .

حدّقت (هويدا) فى وجهه بدهشة ، وقالت :

ـ وهل تحاول دفعهم إلى ذلك ؟

أجابها بهدوء أثار أعصابها :

ـ ولم لا ؟ ما دام الدخول إلى قلب جزيرة (تيرور) مستحيل كما يقولون ، فلنتركهم يأخذوننا إلى هناك .

* * *

٤ ــ الاختطاف ..

وقف (سيمون دوريل) برهة يقص ما حدث على مسامع رجل ضخم الجثة ، ضيق العينين ، أصلع الرأس تماما ، واستمع إليه الرجل باهتمام ، وهو لا يكف عن مداعبة رأس ذئب هائل الحجم ، استكان تحت قدميه بهدوء ، وإن نم بريق عينيه عن التحفز والشراسة ، وما أن انتهى (سيمون) من روايته حتى قطّب الرجل الضخم حاجبيه ، وظل صامتا فترة قبل أن يقول بصوت شديد النعومة لا يتناسب مع ضخامة جسده :

ــ إذن فقد عقب أحد روّاد المطعم بالإسبانية على ما قاله هذا الرجل المصرى باللغة العربية .

أومأ (سيمون) برأسه إيجابا ، فانفرجت شفتا الرجل الضخم عن ابتسامة شرسة ، وهو يقول بصوته الشديد النعومة :

ــ إنك غبى يا (سيمون) .. غبى حتى أننى أفكر فى إطلاق (لوبو) ليفترسك .

تطلّع (سيمون) برعب إلى الذئب الضخم الشرس ، ثم قال :

ــ لقد فكرت فى الأمر نفسه يا مستر (أدوين) ، ولكننى قلت : إنه ربما كان هذا الشاب الأسمر الذى تحدث بالإسبانية أحد المهاجرين المصريين .

ابتسم (أدوين مارشال) الضخم الجثة ، وقال :

ــ ولماذا عقب بالإسبانية إذن ؟

قال (سيمون) بصوت مرتجف :

ــ ربما لأنها اللغة التى اعتاد التحدث بها من طول إقامته هنا يا مستر (أدوين) .

ظل (أدوين) صامتا مدة طويلة ، ثم قال :

ــ هل سألت نفسك مرة : لماذا كنت أنا أصلح الجميع لتزعم منظمة هامة خطيرة مثل منظمتنا يا (سيمون) ؟.. لأننى أمتلك أنفا حساسًا يشتم رائحة

الخداع ، حتى لو عجز الأغبياء أمثالك عن رؤيته بعيونهم المجردة .

ثم صمت لحظة ليلتقط بعض الهواء ، إذ كانت بدانته تمنعه عن مواصلة الحديث مدة طويلة ، وعاد يقول :

ـ إن هذا الرجل المخادع ليس سوى رجل مخابرات مصرى أيها الغبى .

ارتجف جسد (سيمون) ، ولكنه قال :

ـ ولكن هذا غير معقول يا مستر (أدوين) .. معذرة ولكن هذا الرجل يسافر بصحبة زوجته ويحمل جواز سفر حقيقى .. ثم لماذا تسعى المخابرات المصرية وراءنا ؟

ابتسم (أدوين) وهو يقول :

ـ أنت أكثر غباء مما كنت أظن يا (سيمون) .. إن المخابرات المصرية تسعى للحصول على الفيلم الذى بحوزتنا ، ولا بدَّ أن الفتاة التى تدَّعى أنها زوجة هذا

الرجل واحدة من أفراد المخابرات أيضا ، أمّا عن جواز السفر فهذا من أبسط الأمور .. ثم ألم تفكر فى أنه من المستحيل أن يؤتمن مدنى مسرف ومحب للخمور على هذا النحو على أسرار حربية خطيرة ، وأن الأمر برمته تفوح منه رائحة الخداع الشديد .

قال (سيمون) بتردُّد :

ـ وماذا لو أن الأمر لم يكن خداعا يا سيدى ؟

ابتسم (أدوين) بدهاء ، وقال :

ـ سنتخذ إجراء مناسبًا يا عزيزى (سيمون) .. سننقل المعركة إلى أرضنا إلى أن تتكشف الأمور .. سنختطف هذا المصرى وزوجته ، ونحضرهما إلى (تيرور) ، فلو كان ما يقوله صحيحا سنحصل على كل ما لديه من معلومات بوسائلنا الخاصة ، وربما أمكننا تجنيده .. أما لو كان من رجال المخابرات المصرية فستكون فرصة طيبة لإعدام أحدهم انتقاما لرجلنا الذى تم إعدامه فى مصر .

ثم أعقب حديثه بضحكة مجلجلة دفعت الذئب الضخم إلى العواء بشكل أثار الرجفة فى قلب (سيمون) .

* * *

كانت (هويدا) تقف فى بهو الفندق فى انتظار هبوط (أدهم) عندما ناداها موظف الاستقبال ، وسلمها ورقة صغيرة مطوية وهو يقول بلهجة مهذبة :

ــ لقد وصلت هذه البرقية لتوها باسم السنيور (إبراهيم صالح) يا سنيورا .

شكرته (هويدا) بعبارة مقتضبة ، ثم فضت البرقية بلهفة ، وما أن اطلعت على محتوياتها حتى قطّبت حاجبيها وهى تقول بضيق :

ــ يا إلهى !! ترى ماذا سيفعل (أدهم) إذا ما قرأ هذه البرقية المفاجئة ؟

وأسرعت تطويها ،وتدسهافى جيب (بنطلونها) عندما لمحت (سيمون) وهو يتقدم نحوها ، ويبتسم قائلا :

ــ عمت مساء يا سنيورا ، أتعشم أن يكون السنيور (صالح) بصحة جيدة الآن .

أومأت (هويدا) برأسها إيجابا وهى تقول مبتسمة :

ــ إنه فى خير حال ، وسيهبط بعد لحظات ، وأرجو أن تنتظر ، فهو يود أن يشكرك بنفسه .

هزّ (سيمون) كتفيه وهو يقول :

ــ سأبقى بلا شك يا سنيورا ، فإننى أدعوكما لتناول العشاء فى مطعمى .

وقبل أن تجيبه (هويدا) سمعت صوت (أدهم) من خلفها يقول :

ــ دعينى أخمن يا زوجتى العزيزة ، لا بد أن هذا السيد المهذب هو الذى أحضرنى إلى هنا هذا الصباح .

ثم مدَّ يده ليصافح (سيمون) بحرارة وهو يقول :

ــ كيف يمكننى أن أشكرك يا سنيور (سيمون) ؟

أجابه (سيمون) بلهجة مهذبة للغاية :

ــ بأن تقبل دعوتى على العشاء يا سنيور (صالح) .

قال (أدهم) بهدوء :

ـ بكل سرور يا سنيور (سيمون) فهذا يتفق مع مخططى تماما .

* * *

ابتسم (سيمون) بمكر وهو يقول لـ (أدهم) :

ـ ها قد وصلنا يا سنيور (صالح) .. أعتقد أن هذه الليلة ستكون بالنسبة إليكما مختلفة .

تأمل (أدهم) اليخت الصغير الذى يتهادى فوق أمواج البحر ، وقال بصوت خافت هادئ :

ـ هل توجد مطاعم فى هذا الميناء الصغير يا سنيور (سيمون) ؟

تحركت يد (هويدا) بحدة نحو حقيبتها ، ولكنها تراجعت بسرعة ، وتظاهرت بالخوف عندما صوب إليهما (سيمون) مسدسه وهو يقول :

ـ كف عن تظاهرك بالغباء يا سنيور (صالح) ـ لو أن هذا هو اسمك الحقيقى ـ إننا نعلم جيدا أنك رجل مخابرات مصرى .



تحركت يد (هويدا) بحدة نحو حقيبتها ، ولكنها تراجعت بسرعة ، وتظاهرت بالخوف عندما صوب إليهما (سيمون) مسدسه ..

وفجأة برز من وسط الظلام أربعة رجال يحملون المدافع الرشاشة ، ويصوبونها نحو السيارة ، فقال (أدهم) بهدوء :

ـ جميل هذا الأسلوب السينمائى يا سنيور (سيمون) ـ لو أن هذا هو اسمك الحقيقى ـ ترى هل تحتوى هذه المدافع الرشاشة على رصاص حقيقى ؟

انحنى (سيمون) ليلصق فوهة مسدسه برأس (أدهم) وهو يقول بغضب :

ـ هل تحب أن تجرب بنفسك أيها المصرى ؟.. ليكن معلوما لديك أنهم سيطلقون النار فى الحال عند أول بادرة للمقاومة .

دهشت (هويدا) عندما استرخى (أدهم) فى مقعده بهدوء وهو يقول بلهجة لا مبالية :

ـ المقاومة ؟.. اطمئن يا سنيور (سيمون) ، إننى لم أفكر فى ذلك مطلقا ، فما زال الأمر يتفق مع مخططى تماما .

* * *

٥ ـ فى مواجهة العقرب ..

ابتسم (أدوين مارشال) بهدوء ، وازدادت حدقتاه ضيقا عندما شاهد (سيمون) يدخل إلى حجرته الواسعة ، ويسير خلفه (أدهم) و (هويدا) ، وخلفهما أربعة رجال يصوبون إليهما مدافعهم الرشاشة ، وزمجر ذئبه الضخم بشراسة عندما وقع بصره على الغريبين ، وتوترت عضلات عنقه ، ولكن (أدوين) مسح على رأسه مهدئا قبل أن يقول بصوته الناعم العجيب :

ـ مرحى يا (سيمون) ، أرى أنك قد نجحت فى إحضار السنيور (صالح) وزوجته دونما مقاومة إلى (تيرور) .

قال (سيمون) بصوت ينم عن الحيرة :

ـ إنهما لم يقاوما على الإطلاق يا مستر

(أدوين) ، بل على العكس لقد بدا وكأن هذا الرجل يرتاح إلى ذلك ، ولقد سمعته يقول : إن ذلك يتفق مع مخططه .

حدق (أدوين) فى وجه (أدهم) وملامحه الجامدة بدهشة ، ثم قال يحدثه :

ــ إذن فإن مخططك يتفق مع الوصول إلى جزيرة (تيرور) يا سنيور (صالح) .. أخشى أن تكون مغادرة جزيرتنا الصغيرة أشد صعوبة من دخولها .

رأت (هويدا) (أدهم) يبتسم لأول مرة بسخرية ويقول :

ــ إننى أخالفك فى هذا الرأى أيها الفيل ، صحيح أن جزيرتك محاطة بسياج مكهرب ، وأن بهلواناتك يحيطون بها إحاطة السوار بالمعصم ، وبيد كل منهم مدفع رشاش يمنحه شعورًا زائفا بالعظمة ، وأنهم يتبادلون كلمة سر معقدة أعتقد أنها تتغير يوميا ، بالإضافة إلى وسائل المراقبة الإليكترونية ، التى تنتشر فى كل مكان ،

ولكن ... وتنبه جيدا لكلمة لكن هذه فهى الفيصل فى كثير من الأمور ، فمن المؤسف يا طن الشحم أنه لا يوجد مطلقا ما يسمى بالإحكام الكامل ، ولا بدّ من وجود ثغرات فى أى نظام للأمن مهما بلغت دقته .

قطّب (أدوين) حاجبيه بغضب وهو يستمع إلى (أدهم) ، وانتقل هذا الشعور إلى الذئب الذى نهض واقفا على قوائمه الأربع ، وانطلقت من حنجرته زمجرة شرسة ، أثارت الخوف فى نفس (هويدا) ، على حين كان من الواضح أنها لم تؤثر فى (أدهم) مطلقا ، إذ تابع حديثه قائلا بتهكم :

ــ هل تحب أن أثبت لك وجود هذه الثغرات أيها البرميل ؟

ضغط (أدوين) على أسنانه بغيظ ، ولكنه تظاهر بالهدوء وهو يستند إلى مقعده قائلا :

ــ لست أدرى أأنت أحمق أم مجنون أم مخمور يا سنيور (صالح) ؟ ولكننى أعتقد أن رصاص رجالى

سيكون خير علاج لمرضك أيا كان .

وفجأة ، وبدون سابق إنذار ، وبشكل أدهش حتى (هويدا) ، دار (أدهم) حول نفسه برشاقة مذهلة ، وارتفعت ساقه اليمنى لتركل أحد المدافع الرشاشة بعيدا ، ثم استقرت قبضته اليسرى فى فك أحد الرجال الأربعة ، وهشمت قبضته اليمنى أنف الرجل الثانى ، ثم قفز فى الهواء وحرك ساقيه ليركل بإحدى قدميه وجه الرجل الثالث بقوة ، ويركل بالقدم الأخرى المدفع الأخير من يد الرجل الرابع ، وما أن استقرت قدماه على الأرض حتى حطم وجه هذا الأخير بضربتين ساحقتين ، وانحنى بجسده بشكل مفاجئ ، ثم انتصب مصوبا مسدسا صغيرًا إلى (أدوين) الذى توقفت يده فى طريقها لحل طوق الذئب ، الذى أخذ يجذب سلسلته بوحشية مطلقا زمجرة شرسة ، وعواء مخيفًا ، وكأن هذه المعركة التى استغرقت ثوانى معدودة قد أعادت إليه وحشية الغابة التى ينتمى إليها .

أسرعت يد (سيمون) نحو مسدسه ، ولكنه توقف عندما ألصقت (هويدا) مسدسها برأسه قائلة :

ـــ لو طلبت رأيى لنصحتك بألا تفعل ذلك يا سنيور (سيمون) .

حدّق (أدوين) فى الموقف بذهول ، وارتجف جسده الضخم وهو يقول بصوت مرتفع ناعم حاول أن يعلو به فوق صوت الذئب الهائج :

ـــ لا تطلق النار يا سنيور (صالح) .. أرجوك .. لو أنك قتلتنى ما استطعت الخروج من هنا أبدا .

وللمرة الثانية أدهش (أدهم) (هويدا) عندما خفض مسدسه قائلا بهدوء :

ـــ ومن الذى يفكر فى الخروج من هنا يا سنيور (أدوين) ؟.. لقد أردت أن أثبت لك فقط وجود ثغرات فى أجهزة الأمن حولك ، فها قد نجحت أنا فى الوصول إلى جزيرة (تيرور) التى تعتبرها حصنك الحصين .. بل لقد وصلت إليك شخصيا ، وكان

يمكننى بضغطة واحدة على هذا الزناد أن أتخلص منك .

ازدرد (أدوين) لعابه وهو يحدّق فى وجه (أدهم) بدهشة ، ثم امتدت كفه تداعب رأس الذئب الضخم الذى بدأ يعود إلى الهدوء تدريجيا ، وبعد فترة من الصمت قال (أدوين) :

ــ ولماذا خاطرت بالمجىء إلى هنا يا سنيور (صالح) ؟

أعاد (أدهم) مسدسه إلى سترته مما دفع (هويدا) إلى فعل المثل دون أن تدرى ما الذى يهدف إليه هو ، وسمعته يقول لـ (أدوين) :

ــ أصارحك يا سنيور (أدوين) بأننى رجل مخابرات مصرى ، وأن هذه الفتاة التى تدعى أنها زوجتى من المخابرات المصرية أيضا .

اتسعت عينا (هويدا) دهشة عندما استمعت إلى هذه العبارة ، وتساءلت فى قرارة نفسها عن السبب الذى دفع (أدهم) إلى مثل هذا الاعتراف الخطير ،

ولم يكن حال (سيمون) و (أدوين) بأحسن منها ، إذ تفجرت الدهشة فى ملامحهما بشكل عجيب قبل أن يصيح (أدوين) بصوته الناعم :

ــ ما الذى تهدف إليه أيها الرجل بهذه المفاجآت ؟

عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره وقال بهدوء :

ــ لقد أردت أن أقدم مؤهلاتنا أولا يا سنيور (أدوين) ، فلقد قررت أنا وزميلتى أن ننضم إلى الطرف الأقوى .. إلى (سكوربيون) .

* * *

لو أن قنبلة انفجرت فى وسط القاعة ما كان لها هذا التأثير الشديد الذى صنعته عبارة (أدهم) ، فقد تدلت فك (سيمون) ببلاهة ، وجحظت عينا (هويدا) من الدهشة ، على حين مال (أدوين) بجسده الضخم إلى الأمام ، وهو يحدّق فى وجه (أدهم) بذهول ، وامتدت يده تربّت بحركة لا شعورية عصبية على رأس الذئب ، الذى برقت عيناه بشراسة ،

وكأنما يشترك معهم فى الدهشة .. وبعد فترة طويلة من الصمت قال (أدوين) :

ـ هل تتوقع أن تنطلى خدعتك الساذجة علىّ هذه المرة يا سنيور (صالح) ؟

قال (أدهم) باستهتار :

ـ لو أنى مكانك ماترددت ياسنيور (أدوين) .. لقد نجحت فى الوصول إليك فى قلب جزيرة (تيرور) التى تعتبرها معقلك ، ولقد نسى رجالك أو لم يهتموا بتفتيشى للتأكد من عدم حملى للسلاح ، ولقد كان بإمكانى منذ لحظة واحدة أن أقتلك .. ألا يعد هذا قصورا فى وسائل الأمن من حولك يا سنيور (أدوين) ؟

صاح (سيمون) :

ـ احذر يا سنيور (أدوين) إنها خدعة .

صرخ (أدوين) بحدة :

ـ اخرس يا (سيمون) .. إن هذا الرجل يبدو منطقيا .

ثم التفت إلى (أدهم) ، وبرقت عيناه وهو يقول بابتسامة هادئة :

ـ ثم إن هذا الرجل يعجبنى بأسلوبه وجرأته .. ليس من السهل أن تجد رجلا مثله .

قال (سيمون) بإصرار :

ـ وماذا لو أنه يخدعنا ؟

استدار (أدوين) بغضب نحو (سيمون) ، وقال :

ـ لو لم تصمت كما أمرتك لأجبرتك على الاستحمام فى بركتى الخاصة يا (سيمون) .

شحب وجه (سيمون) بشدة حتى أن (هويدا) تساءلت عما يحدث فى تلك البركة الخاصة ، ونقلت بصرها إلى (أدهم) ، وأدهشها أن ملامحه تبدو جامدة هادئة ، وكأن الأمر لا يعنيه على الإطلاق ، وقبل أن تسترسل فى أفكارها قال (أدوين) :

ـ لا ريب أنك تدرك مدى غرابة العرض الذى

تقدمت به يا سنيور (صالح) ، ولذلك أرجوك أن تقبل البقاء فى ضيافتى يوما واحدا حتى يمكننى اتخاذ قرار فى هذا الشأن .. وهذا يشمل زميلتك بالفعل .

هز (أدهم) كتفيه وهو يقول :

ـ إننا لا نمانع على الإطلاق يا سنيور (أدوين) .

ورفت ابتسامة سريعة على شفتيه وهو يردف قائلا :

ـ فليس من السهل أن تسنح لنا مثل هذه الفرصة للبقاء فى (تيرور) .

* * *



٦ ـ ليلة المعركة ..

اقتربت (هويدا) من (أدهم) الذى رقد باسترخاء على سرير صغير فى الغرفة التى نقلهما إليه (أدوين) ، وهمست بحنق :

ـ هل لى أن أفهم معنى هذا الذى حدث ؟

أجابها (أدهم) بهدوء شديد أثار غيظها :

ـ معناه أننا سنقضى ليلة آمنة فى جزيرة (تيرور) التى يستحيل اقتحامها أيتها الملازم .

ردت بعصبية واضحة :

ـ وهل حضرنا من مصر إلى البرازيل بحثا عن الليالى الآمنة يا سيادة المقدم ؟

جلس (أدهم) على طرف الفراش ، وألقى نظرة على ساعته وهو يقول :

ـ إنك مثيرة للأعصاب أيتها الملازم .. لم

لا تخلدين للنوم ؟ إنها الثالثة صباحا .

ثم ارتدى حذاءه المطاطى ، وسار بخفة نحو نافذة الغرفة متجاهلا صوتها الغاضب الخافت وهى تقول :

ـ باستثناء تلك المعركة القصيرة التى هزمت فيها هؤلاء الرجال الأربعة فإننى لم أر ما يدعو لتسميتك برجل المستحيل .

قال (أدهم) بسخرية وهو يتأمل المشهد من النافذة باهتمام :

ـ يبدو أنهم قد خدعوك فى إدارة المخابرات المصرية أيتها الملازم .

وفوجئت به يقفز برشاقة معتمدا بقدميه على حاجز النافذة ، فصاحت :

ـ ماذا تفعل بالله عليك ؟ إن هذه النافذة تبعد عشرة أمتار عن الأرض .

أشار (أدهم) إلى نخلة من نخيل نبات جوز الهند تبعد ثلاثة أمتار عن النافذة ، وقال بهدوء :

ـ لقد كنت أعشق تسلق الأشجار فى حداثتى أيتها الملازم ، ولقد أعادت لى هذه الجزيرة ذكريات طفولتى .

صاحت (هويدا) بقلق :

ـ هل أصابك الجنون ؟.. إن هذه النخلة تبعد ثلاثة أمتار تقريبا ، كما أنها لن تحتمل ثقلك عندما ...

واحتبست الكلمات فجأة فى حلقها ، فقبل أن تتم عبارتها كان (أدهم) قد قفز برشاقة قِطّ برّىّ نحو النخلة ، وسبح جسده فى الهواء لحظة قبل أن تطبق يداه على جسم النخلة ، التى مالت بالفعل مع ثقل جسده ، لتَهبط قدماه على الأرض بهدوء شديد ، ثم ترك النخلة لترتد كالقوس إلى وضعها الأول محدثة صوتا يشبه فرقعة سوط ضخم .

أسرعت (هويدا) بجزع نحو النافذة ، وتطلّعت بقلق إلى النباتات الكثيفة المتشابكة أسفلها ، ولكنها لم تجد أثرًا لـ (أدهم) ، وإن ساد الصمت التام ، مما زاد من قلقها ، فتمتمت بصوت مرتجف :

ــ رباه !! ترى أنجا أم قضى نحبه ؟

* * *

تناهى إلى سمع أحد رجال (أدوين) المنتشرين فى أنحاء الجزيرة صوت ارتداد النخلة الواضح ، فقطب حاجبيه بقلق ، وجذب صمام الأمان بمدفعه الرشاش ، ثم تحرك بحذر نحو مصدر الصوت ، ومرت دقائق من البحث قبل أن يتمتم بحيرة :

ــ عجبا .. إن الرياح لا تهب مطلقا هذه الليلة .. من أين أتى هذا الصوت ؟

وفجأة لمح غصنا صغيرا يهتز وسط أكمة من الأشجار ، فابتسم بشراسة وهو يقول لنفسه :

ــ آه .. يبدو أن لدينا ضيفا فضوليًا هذا المساء .

ثم اقترب بحذر من الأكمة وقد توترت أصابعه فوق زناد مدفعه الرشاش ، ومدّ طرف المدفع ليزيح به بعض الفروع المتشابكة أمامه ، عندما أمسكت قبضة حديدية بماسورة المدفع ، ودفعته فى بطن الرجل الذى



ومدّ طرف المدفع ليزيح به بعض الفروع المتشابكة أمامه ، عندما أمسكت قبضة حديدية بماسورة المدفع ..

تأوّه بصوت مكتوم ، وأفلت من بين أصابعه المدفع الرشاش .

قفز الرجل محاولا استعادة سلاحه ، ولكن فكه تلقت ضربة ساحقة جعلته يظن أن صخور الجزيرة قد قفزت إلى وجهه ، وترنح جسده ، ثم انثنى إلى الأمام عندما صرخت معدته من صاعقة أصابتها ، وعاد جسده يعتدل بلكمة أخرى زلزلت كيانه ، وأسقطته فاقد الوعى .

التقط (أدهم) المدفع الرشاش بخفة ، ثم ابتعد بخطوات رشيقة سريعة غير ملتفت إلى الرجل الذى افترش الأرض ، وسالت الدماء من أنفه بغزارة ، ودار (أدهم) حول المبنى الضخم الذى يشبه قلاع العصور الوسطى ، والذى أقامه (أدوين مارشال) فى وسط جزيرة (تيرور) التى يعدها مركزا لزعامة منظمة (سكوربيون) .

كان من الواضح أن رجال (أدوين) العديدين

ينتشرون بغزارة فى أنحاء الجزيرة ، حتى أن (أدهم) وجد صعوبة بالغة فى التسلل دون أن يثير انتباههم ، وبحثت عيناه الخبيرتان فى جميع أنحاء المبنى قبل أن يتخير نافذة مرتفعة ، تنتصب بجوارها سنديانة ضخمة ، أسرع يتسلقها بخفة ومهارة ، ثم قفز من فوق أحد أفرعها برشاقة مستقرا فوق حاجز النافذة ، واستكان لحظة حتى تأكد أن أحدا لم يلحظه ، وشعر لأول مرة بالراحة لاختفاء القمر فى هذا الوقت من الشهر ، ثم أخذ يعالج النافذة بمهارة يفتقدها أمهر اللصوص ، حتى تناهى إلى مسامعه صوت خافت يؤكد نجاح ما يفعل ، فانتظر لحظة ، ثم جذب النافذة ، وفتحها بهدوء ، وقفز داخل الغرفة التى اختارها عشوائيا .

توقف (أدهم) لحظة تأمل فيها غرفة المكتب الخالية بعين فاحصة ، وتوقف بصره أمام خزانة ضخمة من النوع الذى يغلق بالأرقام السرية ، فابتسم بتهكم ، واقترب من الخزانة يفحصها باهتمام ودقة حتى وقع على

سلك رفيع كالشعرة يتصل بطرف الخزانة ، فتمتم بسخرية :

ـ يبدو أن صديقنا (أدوين) لا يثق حتى فى أصدقائه .

أخرج (أدهم) سلكا رفيعا من حزامه ، وصنع من طرفيه ما يشبه خطافين صغيرين ، وعلقهما بأصابع خبيرة فى السلك الرفيع ، ثم ابتسم بسخريته المعتادة ، وألصق أذنه بسطح الخزانة ، وأخذ يعبث فى قفلها الشفرى بأصابع متمرسة ، حتى وصل إلى مسامعه صوت تكة خافتة ، فتنهد بارتياح وفتح الخزانة ، ثم أخرج من كعب حذائه مصباحا ضوئيا صغيرا صوَّب ضوءه إلى داخل الخزانة ، وأخذ يفحص محتوياتها بعناية ، وما لبث أن زوى ما بين حاجبيه وهو يتمتم بقلق :

ـ عجبا .. إن هذه الخزانة لا تحتوى على أى شىء

ذى قيمة ، باستثناء هذا المبلغ الضئيل الذى لا يتعدى ألفى دولار .

وفجأة سبحت الغرفة فى ضوء مبهر مما دفع (أدهم) إلى القفز واقفا بحدة ، ففوجئ بـ (أدوين) وهو يقف فى مدخل الغرفة بجسده الضخم ، ويده تقبض على مسدس كبير يصوبه نحوه ، على حين تمسك يده الأخرى بالسلسلة المعدنية التى تنتهى بالطوق الذى يحيط برقبة الذئب الهائل ، وسمعه يقول بصوته الناعم الذى تشوبه سخرية متوارية :

ـ لن تجد شيئا فى هذه الخزانة يا سنيور (صالح) .. إنها مجرد فخ للسذج أمثالك .. ولكننى بالرغم من ذلك أهنئك ، فأنت أول رجل ينجح فى الوصول إلى هذه الغرفة .

* * *

٧ ــ حكم الإعدام ..

عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وقال بسخرية وعيناه تنتقلان بين الذئب الضخم والمسدس الذى يمسك به (أدوين) :

ــ من الواضح أنك تتحرك بخفة برغم أطنان الشحم التى تحملها يا سنيور (أدوين) .

ابتسم (أدوين) بشماتة وهو يقول :

ــ ومن الواضح أنك لم تقدر (سكوربيون) حق قدرها أيها المصرى .. ألم تتصور أننا نقوم بتغيير الحراسة كل ساعة تقريبا ، وأن إصابتك لأحد رجالنا ستكتشف بسرعة أكثر مما تتوقع .

ثم ألقى بنظرة سريعة على خطاف السلك اللذين أبطل بهما (أدهم) عمل جهاز الإنذار المتصل بالخزانة وعاد يقول :

ــ إننى أعترف لك بالمهارة أيها المصرى ، ولكنك لم تفطن إلى أن مزلاج النافذة متصل بجهاز إنذار مماثل .

ضحك (أدهم) بتهكم وهو يقول :

ــ هل تريد منى أن أصفق بإعجاب أم أبكى خجلا ؟

تجهم وجه (أدوين) وهو يقول :

ــ مزحة سخيفة أيها المصرى .

ثم عادت ابتسامة ماكرة تتراقص على شفتيه وهو يردف قائلا :

ــ وأعتقد أن روح الدعابة بداخلك ستتلاشى عندما تشاهد بعينيك تنفيذ حكم الإعدام الذى أصدرته على الرجل الذى هزمته ، واستوليت على سلاحه .

* * *

كان أول ما وقع بصر (أدهم) عليه عندما دخل القاعة الضخمة الرخامية هو (هويدا) التى وقفت باستسلام وذراعاها فوق رأسها ، وقد صوّب أحد رجال

(أدوين) مدفعه الرشاش نحوها . ثم انتقل ببصره إلى حوض السباحة الرخامى الكبير ، الذى يتوسط القاعة ، وزوى ما بين حاجبيه عندما لمح الأسماك الصغيرة التى تسبح بداخله ، وعاد يرفع بصره ليواجه الرجل الذى تصارع معه من قبل ، وقد ظهر الرعب واضحا على ملامحه ، وتجمدت فوق شفتيه الدماء التى نزفت من أنفه المهشم وهو ينقل بصره بتوسل بين رجلين يهددانه بمدفعيهما فى قسوة واضحة .

أطلق (أدوين) ضحكة ناعمة وهو يقول :

ــ أنت تعلم بالطبع أيها المصرى أن جزيرة (تيرور) جزيرة خاصة ، ابتعتها أنا من الحكومة البرازيلية لحساب (سكوربيون) ، وهذا يعنى أن القوانين المتبعة هنا هى قوانيننا الخاصة ، وهذه القوانين تنص على أن عقوبة الفشل هى الإعدام .

صاح الرجل المصاب بمذلة وتوسل :

ــ الرحمة يا (أدوين) !!

تجاهل (أدوين) توسلات الرجل ، واستطرد قائلا :

ــ ولدينا هنا ثلاث وسائل للإعدام ، إما الدفن حيا ، أو التعامل المباشر مع أنياب (لوبو) ، أو السباحة فى بركتى الخاصة .

ثم أشار إلى حوض السباحة الرخامى الكبير ، وقال بسخرية :

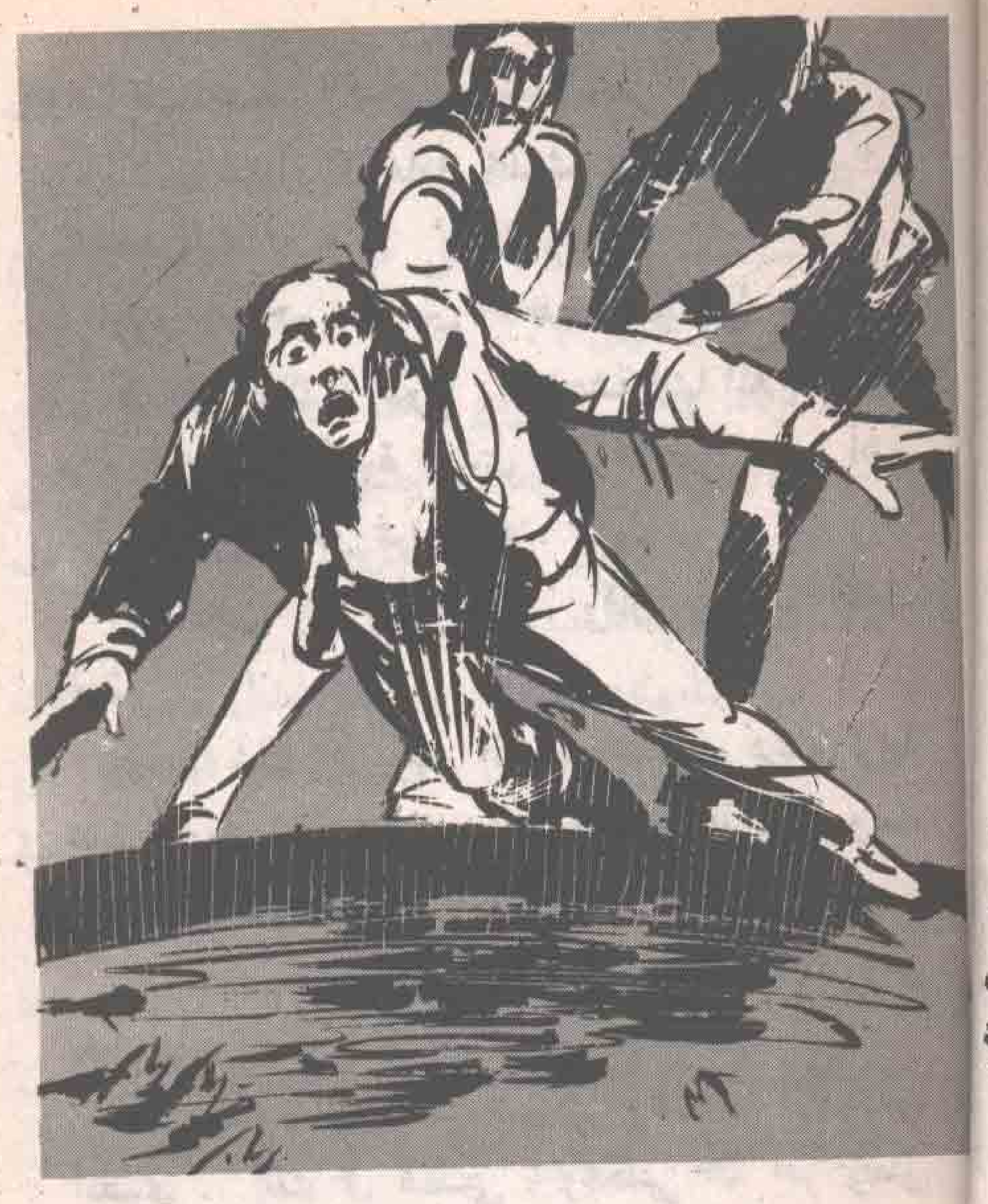
ــ وهذه هى بركتى الخاصة يا سنيور (صالح) ، ورجالى يطلقون عليها اسم بركة الموت .

دفع أحد الرجال (هويدا) بمدفعه لتقف بجوار (أدهم) ، على حين تابع (أدوين) قائلا :

ــ وسيتم إعدام هذا الرجل فى بركتى الخاصة يا سنيور (صالح) .. وسأسمح لكما بمراقبة لحظة إعدامه ، وستجدانها غاية فى الإثارة .

ابتسم (أدهم) وهو يقول بسخرية :

ــ لا يمكن أن نتوقع أفضل من ذلك ما دام مضيفنا وغد مثلك يا (أدوين) .



ولكن الرجال الآخرين دفعوه بقسوة ليسقط فى البركة
وهو يصرخ بفزع أثار رعب (هويدا) ..

احتقن وجه (أدوين) المكتظ غضبا ، وأشار لرجاله بإلقاء الرجل فى البركة ، غير مبال بصرخات الرعب وصيحات التوسل التى أطلقها الرجل ، وهو يحاول الإفلات ، ولكن الرجال الآخرين دفعوه بقسوة ليسقط فى البركة وهو يصرخ بفزع أثار رعب (هويدا) .

حاول الرجل باستماتة الوصول سباحة إلى طرف البركة ، ولكنه أخذ يصرخ بشكل عجيب ؛ ولاحظت (هويدا) برعب أن الأسماك الصغيرة التى تملأ البركة قد أسرعت بتشكيلات منتظمة نحو الرجل الذى تحولت صرخاته من الرعب إلى الألم الشديد ، على حين اصطبغت مياه البركة الشفافة بلون الدم الأحمر حول الرجل أولا ، ثم انتشر اللون وغاص الرجل فى الماء الذى تحرك بشكل عجيب ، وكأنه يتعرض للغليان ، وامتلأ بالدماء التى حولته إلى اللون الوردى .

تعلقت (هويدا) بذراع (أدهم) برعب ،

وصاحت بصوت أجش من شدة الفزع :

ـ يا للهول !! ماذا يحدث ياسيادة المقدم ؟.. ما هذه البشاعة ؟

زوى (أدهم) ما بين حاجبيه وهو يقول بهدوء :

ـ إنها أسماك (البيرانا) المتوحشة أيتها الملازم .. إن هذه الأسماك الصغيرة تتغذى على اللحم .. إنها أشد شراسة وتوحشا من نمر جريح .

ثم التفت إلى (أدوين) ، وقال بسخرية أثارت غيظه :

ـ لا شك أن برميل الشحم هذا قد دعانا لرؤية هذا المشهد رغبة فى استعراض قدراته وقذارته ، وبث الرعب فى نفوسنا .

صعدت الدماء إلى وجه (أدوين) المكتظ وهو يقول بغضب :

ـ يبدو أنك قد نسيت وضعك الآن أيها المصرى .. إنك فى قبضتى ، ويمكننى أن آمر رجالى بإلقائك فى بركتى حالا .

ضحك (أدهم) ضحكة قصيرة ساخرة ، وقال بتهكم لاذع :

ـ سيكون هذا أفضل من رؤية وجهك القبيح يا سنيور (أدوين) .

ارتعد جسد (أدوين) الضخم غضبا وهو يشير لرجاله إشارة أسرعوا بعدها يجتذبون (هويدا) بعيدا عن (أدهم) ، وأشار إليه (أدوين) بحدة وهو يقول بصوته الناعم العجيب :

ـ سأمهلك دقيقة واحدة لتدلى إلىّ باسمك الحقيقى ، واسم زميلتك ، والهدف من قدومكما إلى (تيرور) أيها المصرى ، وإلا أصبحت زميلتك وجبة شهية لأسماكى .

التفت (أدهم) إلى (هويدا) ، فرأى جسدها يرتجف بشدة وقد ارتسمت على ملامحها علامات الرعب بأبشع صورها ، وهى تحدق فى بركة الماء بذهول .

* * *

مرت الدقيقة بسرعة دون أن ينطق (أدهم) بكلمة ، فقطّب (أدوين) حاجبيه ، وأشار إلى رجاله بإلقاء (هويدا) فى البركة ، وهنا صاح (أدهم) :

ــ مهلا أيها البدين .. مُر رجالك بإبعاد زميلتى عن بركتك القذرة ، وسأخبرك بما تريد .

ارتسمت ابتسامة الفوز على شفتى (أدوين) ، وأشار لرجاله بإبعاد (هويدا) ، ثم التفت إلى (أدهم) ، وسأله بغطرسة :

ــ هيا أيها المصرى .. هات ما لديك .

هز (أدهم) كتفيه بشكل يوحى بالاستسلام ، وقال :

ــ حسنا .. لقد انتصرت يا سنيور (أدوين) ، ولامناص من الاعتراف .. إننى أدعى (أشرف صادق) مقدم فى المخابرات المصرية ، وزميلتى تدعى (هالة كامل) وهى تحمل رتبة ملازم أول فى مخابراتنا أيضا ، ولقد أتينا إلى هنا فى محاولة لإثبات إمكان اقتحام جزيرة (تيرور) .

حدّق (أدوين) فى وجه (أدهم) لحظة ، ثم انفجر ضاحكا ، وأخذ جسده البدين يهتز بصورة مضحكة وهو يقهقه ، وقد سالت من عينيه الدموع ، ثم أخذ يمسح دموعه ، وهبطت حدة ضحكاته وهو يقول :

ــ أنت مخادع كبير أيها المصرى .. مخادع ساذج .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة دهاء وهو يستطرد قائلا :

ــ من الأمور التى يجهلها الجميع أن منظمتنا تربطها بعض صلات التعاون مع أكثر من جهاز للمخابرات فى العالم .. وبالذات مخابرات تلك الدول التى توصف بأنها استعمارية ، وهذا التعاون يعطى ثمارا طيبة لكلينا .

ثم أخرج من جيبه صورة صغيرة وهو يتابع قائلا :

ــ لقد وصلتنى منذ ساعة واحدة كل المعلومات الخاصة بك يا سنيور (صالح) .

وتحولت ابتسامته إلى ابتسامة ماكرة وهو يقول :

ـ لقد حضرتما من أجل الميكروفيلم الذى يحتوى على وثائقكم الحربية يا سنيور (صالح) .. أم هل تعتقد أنه من الأفضل أن أدعوك باسمك الحقيقى يا سنيور (أدهم صبرى) .

ثم فرد يده بالصورة التى يحملها ، والتى ميزت فيها (هويدا) بوضوح وجه (أدهم صبرى) .

* * *

ابتسم (أدهم) بسخرية بعد فترة قصيرة من الصمت ، ورفع كفيه ليصفق بهدوء وهو يقول :

ـ بديع أيها الفيل الأصلع .. هل لك أن تعيد علينا هذا المشهد المسرحى مرة أخرى .

قطّب (أدوين) حاجبيه ، واحتقن وجهه بدماء الغضب ، وهو يقول :

ـ لقد سمحت لك بالسخرية كثيرا أيها المصرى .. إننى لن أسمح لك بالسخرية منى حتى ولو كانوا يسمونك باسم الشيطان .

ثم مدّ يده نحو طوق الذئب الهائل الحجم وهو يقول بقسوة :

ـ هل رأيت ما تبقى من رجل بعد أن مزقه (لوبو) بأنيابه الحادة أيها الشيطان المصرى ؟.. إن ما تبقى منه لا يملأ دلوا صغيرا ، وأخشى أنك لن تجد الوقت الكافى لرؤية ذلك ، ولكننى أعدك بأن تتغذى أسماكى الصغيرة على ما يتبقى من جسدك .

وبحركة حادة فصل سلسلة الذئب عن الطوق الذى يحيط بعنقه ، وتراجعت (هويدا) بذعر على حين تحفز (أدهم) للمواجهة عندما قفز الذئب الهائل نحوهما ، وقد كشر عن أنيابه القاتلة ، وتألقت عيناه ببريق الموت .

* * *

٨ ـ المطاردة المتوحشة ..

كان الذئب الهائل ينطلق نحو (أدهم) بشراسة تفوق بنى جنسه ، وكان (أدهم) متحفزا لصد هذا الهجوم المتوحش عندما رفع (أدوين) يده وهو يصيح بصوته الناعم المزعج :

ــ قف يا (لوبو) .. اثبت مكانك .

توقف الذئب فجأة على بعد خطوات من (أدهم) و (هويدا) ، وبدا من زمجرته الغاضبة أن هذا الأمر لم يوافق غريزته الوحشية ، فأخذ يزمجر بغضب ، وينقل بصره بين سيده و (أدهم) ، وتنهدت (هويدا) بارتياح مما دفع (أدوين) إلى إطلاق ضحكة ساخرة قوية ، اهتز لها بدنه الضخم ، ثم قال وهو يعيد ربط السلسلة المعدنية بطوق الذئب :

ــ إنك لم تحسنى الفهم أيتها المصرية .. إننى لم أعف

عنكما ، ولكننى وجدت أن هذه الميتة التقليدية لا تناسب شيطانا مثل رئيسك .

ابتسم (أدهم) بسخرية وهو يقول :

ــ إذن فالموت بأنياب ذئب مفترس هو موت تقليدى أيها الفيل .

كتم (أدوين) غيظه ، وتابع متظاهرا بعدم سماع عبارة (أدهم) ، فقال :

ــ إن رجلا هزم مخابرات دولة بأكملها يستحق ميتة مبتكرة يا سنيور (أدهم) .. أليس كذلك ؟

ضم (أدهم) كفيه وهو يقول متهكما :

ــ إنك تخجلنى بهذا الكرم الزائد يا طن الشحم .

ابتسم (أدوين) بشراسة وهو يقول :

ــ سأمنحك فرصة للنجاة برغم عباراتك السخيفة يا سنيور (أدهم) .. سأسمح لكما بالخروج من قلعتى ، وسأمهلكما ساعة واحدة ، لتحاولا الهرب من (تيرور) ، فإذا نجحتما أعدكما بألا أمسكما بسوء ،

أما لو فشلتما فسأطعم أسماكى ببقاياكما .

نظرت إليه (هويدا) بدهشة ، على حين سأله (أدهم) بتهكم :

ــ وما سر هذا الكرم الحاتمى يا فرس النهر البدين ؟

نظر (أدوين) فى ساعته ، ثم قال بهدوء :

ــ يمكنك اعتبارها مجرد نزوة يا سنيور (أدهم) .. وعموما لقد بدأت الساعة التى سأمنحكما إياها منذ هذه اللحظة .

* * *

ما أن خرج (أدهم) و (هويدا) من القاعة الرخامية وخلفهما رجال (سكوربيون) حتى قال (سيمون) بقلق بالغ :

ــ هل ستمنحهما ساعة حقا ؟

ابتسم (أدوين) بدهاء ، وقال وهو يضغط زر جهاز اتصال داخلى :

ــ هل عهدتنى أحمق من قبل يا عزيزى (سيمون) ؟

أشاح (سيمون) بذراعيه فى حيرة وهو يقول :

ــ لماذا سمحت لهما بالخروج إذن ؟

ضحك (أدوين) بنعومته وهو يقول :

ــ إنهم يسمونها لعبة القط والفأر يا (سيمون) ، وعلماء النفس الأغبياء يطلقون عليها اسما معقدا يشير إلى حب تعذيب الآخرين .

ثم قرب فمه من بوق جهاز الاتصال ، وقال وهو يبتسم بشراسة :

ــ اطلقوا أسماك البيرانا المتوحشة فى المياه المحيطة بالجزيرة ، وارفعوا الحواجز الكهربائية حتى لا نسمح لها أو لهما بالخروج إلى المحيط ، وضعوا حراسة مكثفة على كل الزوارق البخارية التابعة لنا ، وأطلقوا النار على كل من يقترب منها دون أن يدلى بكلمة السر .

وما أن أنهى الاتصال حتى عاد (سيمون) يسأله بحيرة :

ــ ولكنك ستتركهما ساعة كاملة قد يعثران خلالها

على ثغرة أو فجوة يتسللان من خلالها إلى داخل القلعة .

ربّت (أدوين) على رأس ذئبه ، ثم قال وهو يحل السلسلة المتصلة بطوقه :

— لن يجدا الوقت الكافى لذلك يا عزيزى (سيمون) .

ثم تردّد لحظة حل بعدها الطوق بأكمله ، ثم اقترب بوجهه من وجه الذئب الذى أخذ يزمجر بعصبية .. وبهدوء قال (أدوين) محدثا إياه :

— ابحث عنهما يا (لوبو) .. ابحث عنهما ومزقهما إربا .

وما أن انتهى من عبارته حتى انطلق الذئب الهائل بوحشية لينفذ أوامر سيده .

* * *

ما أن أغلقت أبواب القلعة خلف (أدهم) و (هويدا) حتى أمسك بيدها ، وانطلق يجرى مبتعدا فصاحت به متألمة :

— مهلا يا سيادة المقدم ، ما زالت أمامنا ساعة كاملة .. دعنا نفكر فى الأمر جيدا .

قال (أدهم) بلهجة ساخرة دون أن يتوقف :

— هل صدقت هذا الأمر أيتها الملازم .. إن هذا الفيل مصاب بالسادية ، وهو يعشق تعذيب الآخرين ، ولن يمنحنا أكثر من الوقت الذى يحتاج إليه لإطلاق ذئبه خلفنا .

انتزعت (هويدا) يدها من يده ، ووقفت قائلة بعناد :

— كفى أيها المقدم .. لقد تعلمنا طويلا أن هذا الأسلوب الارتجالى لا يصلح فى أعمال المخابرات ، ولقد سئمت هذا الأسلوب الذى تتصرف به ، وكأنك الوحيد القادر على التصرف بجرأة وذكاء .

شبك (أدهم) كفيه خلف ظهره ، ونظر إليها ببرود قائلا :

— سنناقش هذا الأمر فيما بعد أيتها الملازم ، أما

الآن فعلينا أن نبتعد بقدر الإمكان ، فإننى أكره أن يعثر علينا هذا الذئب بسهولة .

حدّقت (هويدا) فى وجهه بتحد وهى تقول :

ــ يمكنك الإسراع بالهرب ما دام ذلك كل ما يشغلك يا حضرة المقدم ، أما أنا فلن أبرح هذه الجزيرة قبل إتمام المهمة التى أتينا من أجلها ، حتى ولو أطلقوا خلفى ألف ذئب لا ذئبًا واحدا .

زوى (أدهم) مابين حاجبيه ، وأمسك ذراعها بقسوة وهو يقول بغضب :

ــ اسمعى أيتها الملازم ...

وقبل أن يتم عبارته تناهى إلى مسامعهما عواء شرس ، فالتفتا ليجدا الذئب الهائل منطلقا نحوهما بوحشية ، وقد برزت أنيابه ، وسال الزبد من بين شدقيه ، وهو يزمجر بشراسة ممنيا نفسه بافتراسهما .

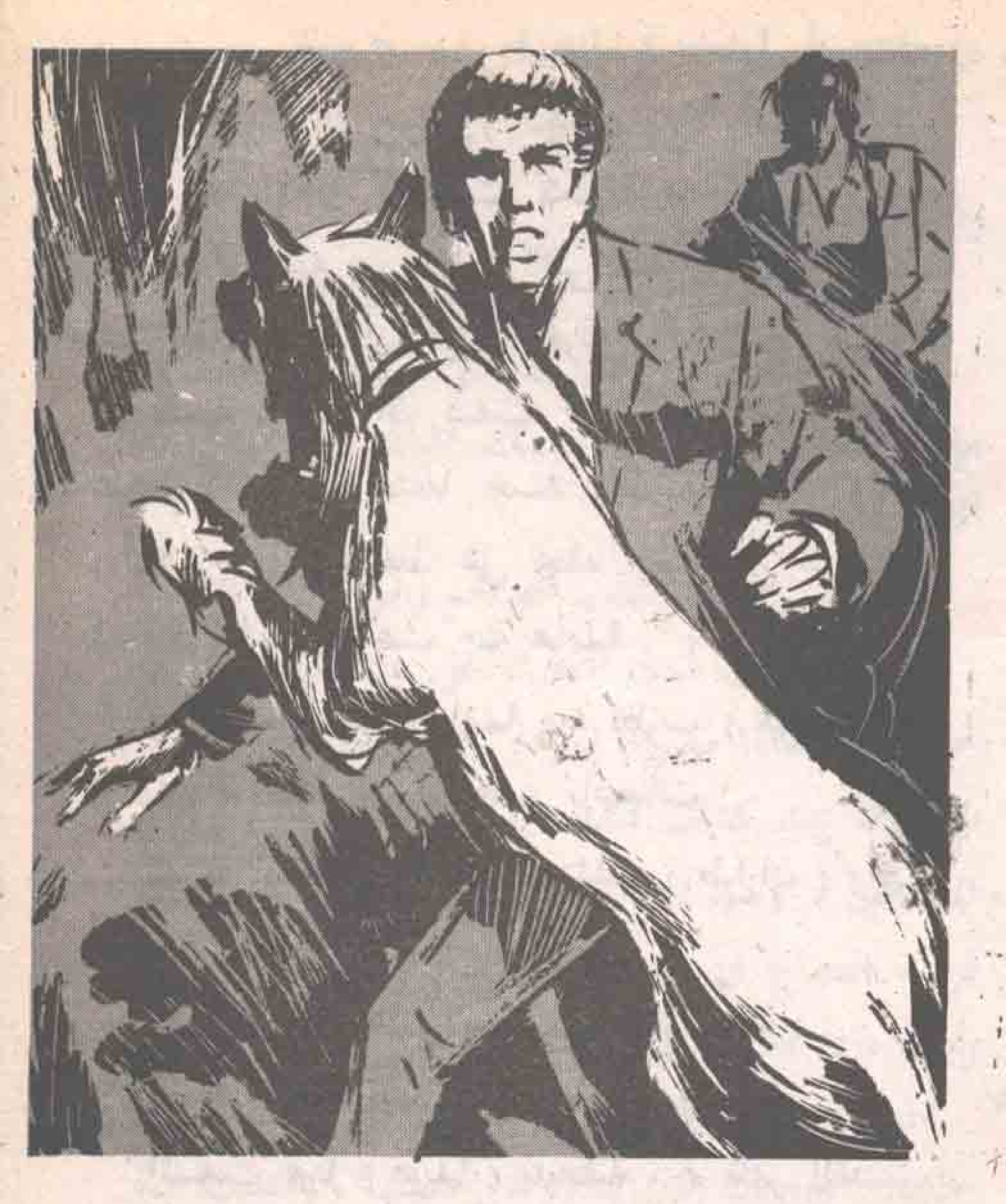
* * *

٩ ــ الذئبان ..

تراجعت (هويدا) بحدة وذعر ، وتوقعت أن يحذو (أدهم) حذوها ، ولكنها فوجئت به يباعد ما بين ساقيه ، ويفتح ذراعيه بشكل يشبه الوقفة الاستعدادية لمباريات رياضة الجودو ، وقد تصلبت العضلات الصغيرة فى أصابعه ، ثم يطلق زمجرة قوية ، بعثت الرجفة فى أوصالها وهو يحدق فى وجه الذئب الضخم بتحد واضح ...

أصابت الدهشة (هويدا) عندما توقف الذئب فجأة ، وانكمش جسده ، ثم تراجع خطوة إلى الوراء ، وتأمل (أدهم) بحذر ، وأطلق زمجرة وحشية خافتة ، فأجابه (أدهم) بزمجرة شرسة قوية تعجبت (هويدا) كيف أطلقها من حنجرته البشرية ؟..

ظل الحيوان المفترس يدور حول (أدهم) بحذر ،



ثم قفز نحو (أدهم) بشراسة شديدة ، ولكن (أدهم) قفز بغتة إلى اليسار فى نفس اللحظة التى مزقت فيها مخالب الذئب قميصه ..

وهما يتبادلان الزمجرة الوحشية .. كان من الواضح أن الذئب الضخم قد فوجئ برد الفعل العجيب ، الذى لم يعهده من بنى البشر من قبل مما دفعه إلى التوقف ، ومحاولة إعادة تقييم قدرات فريسته ، كما يحدث دائما فى عالم الحيوانات ..

وأخذت (هويدا) تتأمل هذا الموقف المذهل وقد ألجمتها الدهشة ، وسمَّرها الفزع ، فلم تنطق بكلمة أو تبدر منها أية حركة .. كل ما حدث هو أن ضربات قلبها قد تسارعت من شدة الانفعال ، وأخذ جسدها يرتجف بمزيج من الخوف والذهول .

وفجأة انكمش جسد الذئب وهو يزمجر بوحشية ، ثم قفز نحو (أدهم) بشراسة شديدة ، ولكن (أدهم) قفز بغتة إلى اليسار فى نفس اللحظة التى مزقت فيها مخالب الذئب قميصه ، وأدمت ذراعه ، ثم دار حول نفسه بسرعة ورشاقة مذهلتين ، وفى لمح البصر كانت ذراعه اليسرى قد التفت حول عنق الذئب الذى

صدرت من حنجرته حشرجة عالية ، وحاول أن يدفع مخالبه الخلفية فى جسد (أدهم) ، إلا أن عضلات ذراع هذا الأخير انقبضت ككلابة من الصلب حول عنقه ، ثم صنع من ذراعه اليمنى المصابة دعامة خلف عنق الذئب ، الذى تحولت زمجرته الوحشية إلى حشرجة ألم بائسة ، قبل أن ينبعث من عنقه صوت عظام تتهشم ، تراخى بعدها جسد الذئب تماما ، ولكن (أدهم) ظل يضغط على عنقه لحظة قبل أن يدعه ليسقط الذئب المرعب جثة هامدة .

ولأول مرة منذ عملهما معا نظرت (هويدا) إلى (أدهم) بانبهار ، وهى تتمتم بإعجاب :

ـ يا للروعة !! لقد كنت تشبه (طرازان) وأنت تصارع هذا الوحش ..

نظر إليها (أدهم) ببرود ، ثم قال بحدة :

ـ أنت غبية أيتها الملازم .. غبية وعنيدة .

اتسعت عينا (هويدا) بدهشة ، ثم ظهر الغضب

على ملامحها وهى تقول بتحد :

ـ اسمع يا سيادة المقدم .. صحيح أنك رئيسى ، ولكننى لا أسمح لك ..

قاطعها (أدهم) وهو يقول بغضب :

ـ ليس لك حق السماح أو الرفض ما دمنا فى مهمة رسمية ، وما دمت رئيسك المباشر والوحيد أيتها الملازم .

ثم أشار إلى جثة الذئب الضخم وهو يواصل قائلا :

ـ لقد كنت أنوى القضاء على هذا الوحش بعيدا حتى لا يكشفوا مصرعه بسرعة .. هل تعلمين ما الذى سيفعلونه عند كشف ذلك ؟.. سيطلقون وراءنا رجالهم المسلحين ، وسيمشطون الجزيرة بأكملها ، وستصبح فرصة النجاح فى التوصل إلى الميكروفيلم أقل .. هل رأيت ماذا فعل غباؤك وعنادك ؟

احتقن وجه (هويدا) ، واحتبست الكلمات فى حلقها ، فعجزت عن الدفاع عن نفسها ، ومضت فترة

من الصمت قبل أن تتمتم بعصبية قائلة :

ــ حسنا .. إننى أعترف بالخطأ ، فلم أتصور استطاعتك التغلب على هذا الذئب الضخم ، والآن هل تنوى تحطيم عنقى مثلما فعلت به ؟

قال (أدهم) بحدة وهو يشير إلى جثة الذئب :

ــ لو تأخر هذا الوحش لحظة واحدة لكان عنقك هو المحطم بالفعل أيتها الملازم .

ثم توقف فجأة ، والتفت ينظر إلى الذئب وهو يقول بلهجة الفوز :

ــ يا إلهى !! كيف لم أنتبه إلى ذلك ؟.. إنها رقبته بالفعل .

سألته (هويدا) بدهشة :

ــ ماذا تعنى يا سيادة المقدم ؟

أجابها (أدهم) بهدوء وهو ينحنى ليفحص رقبة الذئب المهشمة :

ــ لقد علمت أين كان هذا الفيل المجنون يخبئ

الميكروفيلم .. لقد كان المخبأ أمام أعيننا طول الوقت .

سألته (هويدا) بفضول شديد :

ــ أين يا سيادة المقدم ؟.. أين ؟

اعتدل (أدهم) واقفا ، وابتسم بسخرية ، وأشار إلى رقبة الذئب قائلا :

ــ فى الطوق الذى كان يحيط برقبة هذا الذئب القتيل .

* * *

أخذ (أدوين مارشال) يدير الطوق الجلدى ذا القطع المعدنية البراقة بتراخ وهو يقول لـ (سيمون) :

ــ لا ريب أن هذا الشيطان المصرى قد تحول وزميلته إلى أشلاء متناثرة بفضل أنياب (لوبو) القاتلة .. لقد مضت نصف ساعة كاملة وهذا أطول وقت استغرقه (لوبو) لتمزيق شخصين فقط .

قال (سيمون) بقلق :

ــ ليتنى أمتلك مثل ثقتك أيها الزعيم .. إننى أشعر

بالقلق وخصوصا لأن الجو خارج القلعة يبدو هادئا أكثر من اللازم .

ضحك (أدوين) بتهكم وهو يقول :

ـ إن هذا الهدوء يزيد من ثقتى بنجاح (لوبو) يا (سيمون) .. لا شك أنه ينعم الآن بوجبة شهية ، قد يمضى وقت طويل قبل أن يتناول مثلها .

همّ (سيمون) بالتعقيب ، ولكنه عاد والتزم الصمت وإن لم تختف نظرات القلق من عينيه ، فنظر إليه (أدوين) بغضب أربكه ، إلّا أن رنين جهاز الاتصال الداخلى أعفاه من تلك النظرة القاسية ، ومدّ (أدوين) يده بتراخ ، وتناول مسماع الجهاز ، فسمع أحد رجاله يقول :

ـ هناك رجل يدعى (اسحق باريف) يتصل على موجة اللاسلكى السرية ، ويصرّ على التحدث إليك شخصيا .

ضحك (أدوين) وهو يقول :

ـ نعم .. إننى أنتظر هذه المكالمة .. أوصلنى به .

وما هى إلا لحظات حتى استمع إلى صوت أجش يقول :

ـ كيف حالك يا مستر (أدوين) ؟ إننى أتحدث إليك بشأن الميكروفيلم..

تحدث (أدوين) بصوته الناعم قائلا :

ـ إنكم تميلون إلى الإزعاج يا مستر (باريف) .. لست أدرى لماذا تصرون على أن تكون اتصالاتكم كلها قبيل الفجر .

زمجر (باريف) بغضب وهو يقول :

ـ إننى أتحدث إليك بشأن العمل يا مستر (أدوين) ، ودولتى ترى أن هذا الموعد مناسب جدا ، ثم إننا الدولة الوحيدة التى تهتم بشراء الميكروفيلم المصرى .

ابتسم (أدوين) بخبث وهو يقول :

ـ أعلم ذلك يا مستر (باريف) ؛ ولذلك بادرت

بالاتصال بكم فور وصول الميكروفيلم إلى يدى ، ولكننى أتساءل هل سيغطى المبلغ الذى سوف تدفعونه التكاليف الباهظة لحصولنا على هذه الأسرار الخطيرة ؟

قال (باريف) بنفاد صبر :

ـــ كم تطلب هذه المرة يا مستر (أدوين) ؟

صمت (أدوين) لحظة ، ثم قال بهدوء :

ـــ عشرة ملايين يا مستر (باريف) .

صدرت زمجرة غاضبة من حنجرة (باريف) وهو يقول :

ـــ إن هذا ضعف المبلغ الذى ندفعه دائما يا مستر (أدوين) .

ضحك (أدوين) وقال :

ـــ إن الميكروفيلم يساوى أكثر من الملايين العشرة يا مستر (باريف) ، ولكننى سأتقاضى هذا المبلغ التافه نظرا لتعاون مخابراتكم السابق مع منظمتنا ، ثم إننى سأقدم لكم هدية لم تكونوا تحلمون بها .

ساد الصمت لحظة قبل أن يقول (باريف) :

ـــ ما هى هذه الهدية يا مستر (أدوين) ؟

قال (أدوين) بفخر :

ـــ جثة رجل المخابرات المصرى الذى تسمونه بالشيطان .. جثة (أدهم صبرى) .

حدثت جلبة مفاجئة ، ثم أتى صوت (باريف) مرتعدا وهو يقول بانفعال شديد :

ـــ معذرة يا مستر (أدوين) لقد سقط المسماع من يدى .. هل أنت جاد فى موضوع القضاء على (أدهم صبرى) ؟.. هل نجحت فى قتله فعلا ؟

ابتسم (أدوين) وهو يقول بفخر :

ـــ لقد أطلقت خلفه ذئبى الضخم ، ولا بد أنه قد مزقه إربا ..

قاطعه (باريف) قائلا بعصبية :

ـــ لا تكن واثقا إلى هذه الدرجة يا مستر (أدوين) .. إن أمثال (أدهم صبرى) لا يمكن

التأكد من مصرعهم قبل أن تتحلل جثثهم أمام أعيننا .. إنه شيطان بمعنى الكلمة يا مستر (أدوين) .

صاح (أدوين) بغضب :

ـ لم ينجح أحد فى الفرار من (لوبو) يا مستر (باريف) ، وأؤكد لك أنك ستجد جثة (أدهم صبرى) ، أو ما تبقى منها فى انتظارك فى جزيرة (تيرور) .

قال (باريف) باهتمام دون أن يتلاشى انفعاله :

ـ اسمع يا مستر (أدوين) سأحضر إليك فورا ، ولو أنك حقا نجحت فى التخلص من هذا الشيطان فستمنحك دولتى ضعف المبلغ الذى تطلبه .

أنهى (أدوين) الاتصال ، ثم التفت إلى (سيمون) ، وقال بمرح :

ـ يبدو أن هذا الشيطان المصرى ثمين للغاية يا (سيمون) ، وإلا ما دفعت تلك المخابرات عشرة ملايين من الدولارات ثمنا له .

وقبل أن يعقب (سيمون) على قول زعيمه دخل أحد رجال (سكوربيون) بوجه شاحب ، وتردّد لحظة قبل أن يقول بخوف :

ـ معذرة أيها الزعيم ، ولكننى وجدت ذئبك جثة هامدة .. لقد حطّم أحدهم عنقه .

* * *



١٠ ـ شاطئ الموت ..

حدّق (أدوين) فى وجه رجله بذهول قبل أن يصيح بغضب عارم :

ـ هل اختل عقلك أيها الرجل ؟.. من المستحيل أن يتغلب رجل أعزل على ذئب ضخم شرس مثل (لوبو) .. هل تسمعنى ؟.. أقول لك مستحيل .

خرج صوت الرجل مرتعدا خائفا وهو يقول :

ـ لقد أصابنى الذهول أنا أيضا أيها الزعيم ، ولكن الأمر لا يقبل الشك .. لقد شاهدت جثته بعينى .

صاح (أدوين) بعصبية :

ـ إنها خدعة .. لا بد أنها كذلك .

ثم قبض على الطوق بكل قوته وهو يقول :

ـ فليخرج الجميع إلى الجزيرة .. لا تتركوا شبرا دون أن تبحثوا فيه عن هذا الرجل .. مزقوه إربا ..

سأمنح مليون دولار لمن يحضر لى جثته الممزقة .

* * *

أشارت (هويدا) من خلف بعض الأغصان المتشابكة إلى أحد الزوارق البخارية الذى يربض أمام الشاطئ تحت حراسة خمسة رجال مسلحين بالمدافع الرشاشة ، وقالت بهمس :

ـ إنهم خمسة رجال يا سيادة المقدم ، وهناك تقريبا عشرة أمتار عارية من النباتات بيننا وبين الزورق البخارى .. ولو وضعنا فى الاعتبار أن كلينا أعزل من السلاح لأصبح من المستحيل نجاحنا فى الاستيلاء عليه .

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال بصوت خافت :

ـ إن قاموسى لا يحتوى على كلمة مستحيل هذه أيتها الملازم .. ما دمنا لا نحمل سلاحا فلنجعل من عقلنا سلاحا أشد خطورة .

ومضت خمس دقائق قبل أن يخرج (أدهم) من وسط الأغصان المتشابكة رافعا ذراعيه فوق رأسه وبجواره



أشارت (هويدا) من خلف بعض الأغصان المتشابكة
إلى أحد الزوارق البخــارية ..

(هويدا) بنفس الوضع ، وما أن رآهما الرجال الخمسة حتى صوبوا مدافعهم الرشاشة إليهما ، وصاح أحدهم محذرا :

— توقفا عن السير أيها الجاسوسان .. سأطلق النار فى الحال إذا ما خطوتما خطوة واحدة .

استمر (أدهم) فى السير غير مبال بالتحذير ، على حين تبعته (هويدا) بقلق وهى تسمعه يقول :

— لا تتعجل أيها الرجل ، إن زعيمكم يريدنا ، وها نحن أولاء نستسلم لكم بعد أن كشفنا استحالة الهروب من جزيرتكم ، وقد يكافئكم الزعيم إذا ما سلمتمونا إليه ، أما لو تسرعت بإطلاق النار فقد تتحول إلى طعام إفطار شهى لأسماك (البيرانا) التى يغرم بها .

تردد الرجال الخمسة وقد تذكر كل منهم عقاب زعيمهم البشع للمخطئين ، وخشى كل منهم إطلاق النار مادام (أدهم) وزميلته قد استسلما ، إلا أن أحدهم صاح بـ(أدهم) الذى لم يعد يبتعد بأكثر من ثلاثة أمتار :

ـــ لا تقترب أكثر من ذلك أيها الجاسوس المصرى ، فالزعيم لن يضيره أن يحصل على رجل هشمت ساقيه .

لم يتوقف (أدهم) عن السير بثبات نحو المجرمين الخمسة وهو يقول :

ـــ وما الذى تخشاه أيها الرجل .. إنكم خمسة رجال أقوياء مسلحين ، ونحن مجرد رجل وفتاة أعزلين .

لم يستطع الرجل أن يحير جوابا إلا أن شيئا ما فى خطوات (أدهم) الثابتة وفى نظراته الساخرة أو فى صوته الهادئ أثار خوفه بشكل مبهم ، برغم محاولته إقناع نفسه بالتفوق الواضح من خيث العدد والعدة .. ولعل منشأ هذا الخوف كان نوعا من التنبؤ بالأحداث المستقبلية ، فما أن أصبح (أدهم) و (هويدا) على بعد متر واحد من الرجال الخمسة حتى تبدلت الأمور بشكل لا يسمح لهم حتى بالدهشة ، بل إنهم قد يعجزون عن وصف ما حدث فى الثوانى الخمس التالية ...

فقد تحركت أطراف (أدهم) الأربع بشكل يعده أبطال الرياضات الدفاعية مستحيلا ، إذ تحركت كلها فى آن واحد ، لتطيح قدماه بمدفعين رشاشين ، وتنتزع قبضتاه مدفعين آخرين ، وتحركت (هويدا) فى اللحظة نفسها فدارت على أصابع قدمها اليسرى كراقصات الباليه ، وصنعت ساقها اليمنى قوسا فى الهواء لتركل المدفع الرشاش الخامس والأخير ، ثم ارتفعت قدمها اليسرى قبل أن تستقر اليمنى على الأرض ، وغاصت بها فى معدة الرجل ، واندفعت راحتها اليمنى بحافتها محطمة ترقوة الرجل الذى جحظت عيناه ، وهو يكافح لاستنشاق الهواء قبل أن يسقط على الأرض كالحجر ..

وفى نفس اللحظات التى استغرقتها معركة (هويدا) مع الرجل كانت قبضة (أدهم) قد أخرجت أحد الرجال من المعركة ، ثم جذب رجلا آخر ، ودفع به نحو الرجلين الباقين ، وقبل أن ينجح أحدهم فى النهوض استقرت قدم (أدهم) فى معدة أولهم ، وهشّمت

قبضته وجه الثانى ، وأسرعت قبضته الأخرى لتعجن أنف الثالث ، وتضع اللمسة الأخيرة فى المعركة ..

استدارت (هويدا) فور تغلبها على خصمها لتفاجأ بالرجال الأربعة الآخرين فاقدى الوعى فحدّقت فيهم بدهشة وهى تقول لـ (أدهم) :

ــ كيف بالله عليك فعلت ذلك فى هذا الوقت القصير ؟

تجاهل (أدهم) سؤالها ، وقال وهو يلتقط أحد المدافع الرشاشة ، ويقذف إليها بآخر :

ــ ابحثى عما توثقين به هؤلاء الرجال أيتها الملازم ، وضعيهم فى باطن الزورق البخارى ، واستعدى للانطلاق به فور عودتى .

سألته (هويدا) بدهشة :

ــ إلى أين تذهب يا سيدى ؟

أجابها (أدهم) دون أن يلتفت ثانية :

ــ سأعود إلى صديقنا قنطار الشحم أيتها الملازم .

فلن تنتهى هذه المهمة إلا بحصولنا على الميكروفيلم .

ثم تمتم بصوت، خافت وهو يبتعد بسرعة :

ــ أو مصرعنا على أرض الأهوال هذه .

* * *

أخذ (أدوين مارشال) يتحرك بعصبية فى قاعته الرخامية الضخمة ، ويده قابضة على الطوق الجلدى ، وهو يتوقف بين الحين والآخر ، ليتطلع إلى الأسماك الصغيرة التى تسبح داخل المسبح الكبير ، الذى اصطبغت مياهه باللون الوردى الباهت ، ثم يزفر بضيق مُمنيا نفسه بأن يجعل من جثة (أدهم صبرى) طعاما لأسماكه ..

قال (سيمون) بتردّد وهو يراقب زعيمه :

ــ لا تقلق أيها الزعيم .. سيقضون عليه حتما .

قال (أدوين) بغضب دون أن يكف عن تحركاته العصبية :

ــ أعلم أنه من المستحيل أن يغادر هذا الرجل

جزيرة (تيرور) حيًّا يا (سيمون) . ولكننى أخشى أن أكون مضطرا لإبعاد الحواجز المكهربة ، وسحب الأسماك التى أطلقناها حول الجزيرة بواسطة آلة الشفط بعد عشر دقائق على الأكثر حتى يتمكن مستر (باريف) من الوصول .

وما أن أتم عبارته حتى ارتفع صوت جهاز الاتصال الداخلى ، فأسرع يتناول المسماع .. وينصت باهتمام ، ثم قال باقتضاب :

— حسنا .. أفسحوا له الطريق .

ثم وضع المسماع وقد زوى ما بين حاجبيه قلقا وضيقا وهو يقول :

— لقد وصل (باريف) فى وقت غير مناسب كالعادة .. ولكننى سآمرهم بإعادة الحصار حول الجزيرة فور وصوله إلى القلعة .

وفجأة ارتعد جسده الضخم ، وتصلبت أطرافه

المكتظة عندما سمع صوت (أدهم صبرى) يأتى من خلفه باردا ساخرا وهو يقول :

— لا تقلق نفسك يا برميل الشحم العفن .. هأنذا !!

* * *



١١ ـــ من أعماق النفس ..

التفت (أدوين) و (سيمون) بحركة حادة نحو مصدر الصوت ، فوقع بصراهما على (أدهم صبرى) الذى ارتكن بظهره على الجدار المجاور لمدخل القاعة الرخامية ، وصوّب فوهة المدفع الرشاش الذى يحمله نحوهما ، وقد تراقصت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، فصاح (أدوين) بذهول :

ـــ يا للشيطان !! كيف نجحت فى الوصول إلى هنا ؟

هزّ (أدهم) كتفيه بلا مبالاة وهو يقول :

ـــ لقد كان الأمر أسهل مما تصورت أنا نفسى أيها الفيل ، فلقد أطلقت رجالك جميعا فى أثرى دون أن تعنى بوضع حراسة كافية على حصنك .. إنك لم تتصور احتمال عودتى إليك باختيارى ، كما لم يتصور رجالك

الأغبياء أن الرجل الذى يحمل مدفعه الرشاش باستهتار ويتحرك وسطهم بثقة هو نفسه طريدتهم .. لم يخطر ذلك بباطهم لمجرد أننى أتجه نحو القلعة ، وليس نحو البحر كما يتوقعون .

احتقن وجه (أدوين) ، على حين زوى (سيمون) ما بين حاجبيه ، وهو يستمع إلى (أدهم) الذى تابع قائلا :

ـــ لقد بقى ثلاثة رجال فقط لحراستك يا زعيم الأوباش ، ولقد سألنى أحدهم بالفعل عن كلمة السر ، ولما كنت أجهلها فقد اضطررت آسفا إلى تحطيم أنوف ثلاثتهم .

بذل (أدوين) جهدا خارقا ليسيطر على أعصابه وهو يقول :

ـــ ماذا تريد بالضبط يا سنيور (أدهم) ؟

أجابه (أدهم) بهدوء وهو يبتسم بسخرية :

ـــ هذا الطوق الجلدى الأنيق الذى تمسكه بيدك أيها الفيل .

شحب وجه (أدوين) وهو يقول بتوتر واضح :

ـــ ولِمَ يا سنيور (أدهم) ؟.. إنه مجرد طوق جلدى رخيص .. إننى أحتفظ به ذكرى (لوبو) الذى حطمت عنقه .

خرجت من فم (أدهم) ضحكة هازئة قصيرة قبل أن يقول :

ـــ يا للمشاعر الرقيقة !! من المؤسف أننا نشترك فى الهواية نفسها أيها الفيل الرقيق ، ألا وهى جمع التذكاريات .. حسنا سأحتفظ أنا بالطوق الجلدى ، ولتحتفظ أنت بسلاح الرجل الذى ألقيته لأسماكك المتوحشة دون ذرة من الشفقة أو الرحمة .

جفف (أدوين) بكفه بعض العرق الذى تصبب على وجهه ، وقال بلهجة أقرب إلى التوسّل :

ـــ اسمع يا سنيور (أدهم) ، سأعوضك عن هذا الطوق بمليون دولار .. بل بمليونين .

جاء صوت (أدهم) أمرًا صارمًا وهو يقول :

ـــ الطوق أيها الفيل .. لا تجعلنى مضطرا لالتقاطه من فوق جثتك .

تردد (أدوين) لحظة ، ثم طوّح بالطوق عبر البركة المائية ليلتقطه (أدهم) من طرفها الآخر .. وبهدوء أخذ (أدهم) يفحص القطع المعدنية البراقة التى تزين الطوق دون أن يرفع بصره عن (أدوين) و (سيمون) ، وما هى إلا لحظات حتى انفرجت أساريره وهو يدير إحدى القطع المعدنية لتنفصل ، ويلتقط من داخلها بكرة صغيرة جدا ، يلتف حولها الميكروفيلم ، الذى جاء من أجله .

تأمله (أدهم) بابتسامة المنتصر ، ثم طوّح بالطوق فى مياه البركة ، وهو يقول ساخرا :

ـــ ها هو ذا الطوق أيها الفيل ، لم أعد بحاجة إليه .. يمكنك الغوص والتقاطه .

تعلق بصر (أدوين) بالفيلم وهو يقول لـ (أدهم) بتوسّل :

— لا تكن غبيا يا سنيور (أدهم).. أعطنى هذا الفيلم ، وسأدفع لك ثلاثة ملايين دولار ثمنا له .. هل تعلم ما الذى يمكنك أن تفعله بهذه الملايين الثلاثة ؟

أجابه (أدهم) بسخرية وهو يخرج علبة ثقاب صغيرة من جيبه :

— أعلم أيها البدين .. يمكننى أن أصبح خائنا لوطنى بثمن بخس .

توترت أعصاب (أدوين) وهو يقول :

— حسنا يا سنيور (أدهم) ، سأجعلها خمسة ملايين .. ما جوابك ؟

أجاب (أدهم) بهدوء :

— هذا هو جوابى يا زعيم (سكوربيون) .

ثم أشعل النار فى الميكروفيلم الذى تلاشى محترقا فى ثانية واحدة ، فصرخ (أدوين) بجزع :

— أيها الأحمق المجنون .. إن هذا الميكروفيلم الذى أحرقته يساوى عشرة ملايين دولار .

ألقى (أدهم) المادة الجيلاتينية المتفحمة الباقية من الفيلم وهو يقول بلهجة جادة :

— أخطأت كالعادة أيها البرميل .. إن هذا الميكروفيلم كان يساوى أكثر من ذلك بكثير .. كان يساوى سمعة مصر وأمنها ، وهذا ما لا يقدر بمال .

أغلق (أدوين) عينيه الضيقتين ، وأخذ يهز رأسه بعصبية عندما دقّ جرس جهاز الاتصال الداخلى ، فتناول مسماعه بحركة آلية ، ووضعه على أذنه ، وأخذ يستمع إلى محدثه بصمت ، وفجأة برقت عيناه ، وابتسم بشراسة وهو يقول :

— حسنا .. احتفظوا بها سالمة لمدة خمس عشرة دقيقة ، فإذا لم أحضر إليكم بنفسى ألقوها فى البحر بعد أن تربطوا حول رقبتها حجرا ضخما .

ثم وضع المسماع وهو ينظر إلى (أدهم) بشماتة قائلا :

ـــ لقد أمسك رجالى بزميلتك أيها الشيطان المصرى ، وها قد سمعت بأذنيك أوامرى بشأنها .

* * *

مرت لحظة من الصمت ابتسم خلالها (أدوين) بشماتة ، وقد استعاد هدوءه ، على حين تنهد (سيمون) بارتياح ، وكأنما انزاح حمل ثقيل من فوق كتفيه ، أما (أدهم) فقد صوَّب فوهة مدفعه الرشاش نحو (أدوين) وهو يقول بحزم :

ـــ اتصل برجالك ، وألغ أوامرك أيها الوغد ، وإلا حطمت رأسك برصاص هذا المدفع .

هزّ (أدوين) رأسه نفيا بإصرار وعناد وهو يقول :

ـــ مستحيل أيها الشيطان .. لن أتخلى عن السلاح الوحيد الذى يضمن لى الانتصار .

عاد إلى ذهن (أدهم) فى هذه اللحظة مشهد زميلته السابقة (منى) وهى تقفز بسيارتها نحو سيارة دونا (ماريا) ، ومشهد تحطم السيارتين ، و (منى)

الراقدة فى المستشفى بالسويد غائبة عن الوعى ، لا يعلم إلا الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ مصيرها ، وشعر أن مصير زميلته الحالية (هويدا) يتوقف أيضا على التصرف الذى سيقوم به ...

ولأول مرة فى حياة رجل المستحيل أرتج عليه .. كانت المهمة الأساسية قد انتهت بتدمير الميكروفيلم ، وكان هناك شعور قوى ينبعث من عقله الباطن ، ويمنعه من الإقدام على أية خطوة من شأنها القضاء على زميلته الجديدة دون مبرر ..

وأخيرا أقدم (أدهم) على خطوة لم يدر وقتها ما إذا كانت صحيحة أو خاطئة ، ولكنه ألقى بمدفعه الرشاش ، وقال باستسلام :

ـــ حسنا .. لقد انتصرت المخابرات المصرية على أية حال أيها الفيل ، حتى لو قضيت علينا معًا .

أسرع (سيمون) ينتزع مسدسه من سترته ويصوبه نحو (أدهم) ، على حين قهقه (أدوين) بانتصار ، ثم قال :

ـ كان ينبغى أن تعلم أن النصر دائما لمنظمة (سكوربيون) فى النهاية أيها الشيطان .. أستطيع أن آمر (سيمون) الآن بإطلاق النار على رأسك ، ولكننى أودّ أن أسألك أولا عن أمر ما .

ضاقت عينا (أدهم) وهو ينظر إلى (أدوين) بتساؤل ، فتابع هذا الأخير قائلا :

ـ لقد عثروا مع زميلتك على برقية أعتقد أنها مكتوبة بشفرة سرية ، وستوضحها لى يا سنيور (أدهم) .. لقد قالت البرقية باختصار : « حدثت المعجزة .. استيقظت (منى) » .. ما معنى هذه العبارة يا رجل المخابرات المصرى ؟

برقت عينا (أدهم) بسعادة ، وهو يقول بانفعال بدا عجيبا عندما طرق آذان الرجلين :

ـ معناها أن الأمور قد انقلبت رأسا على عقب أيها البدين .

ثم قفز فجأة برشاقة مذهلة فوق مياه البركة المملوءة بالأسماك المتوحشة ، والتى يبلغ عرضها أربعة أمتار كاملة .

* * *



١٢ ـ طعام الأسماك ..

بدا الأمر مذهلا فى عيون الرجلين فلم يتصور أحدهما مطلقا استطاعة رجل القفز مسافة أربعة أمتار وهو يعلم أن أى خطأ معناه سقوطه فى بركة مملوءة بأسماك (البيرانا) المتوحشة ، التى يمكنها التهام خرتيت كامل فى ثوان معدودة ..

ولقد كان المشهد مذهلا حتى أن أصابع (سيمون) قد تجمدت من هوله ، فلم يضغط زناد مسدسه حتى استقرت قدما (أدهم) على الحافة الأخرى للبركة الرخامية ، وعندما أفاق من ذهوله ، وأطلق النار كان (أدهم) قد قفز إلى اليسار متفاديا الرصاصة ، ثم قفز إلى الأمام نحوه ، وأمسكت يده اليسرى بمعصم (سيمون) ، مبعدا فوهة المسدس بعيدا ، ثم اندفعت قبضته اليمنى فى ثلاث لكمات متتالية

ساحقة ، حطمت أنف (سيمون) وفكه ، وفجرت من وجهه الدماء ...

قفز (أدوين) بجسده الضخم نحو زر الإنذار ، ولكنه فوجئ بقبضة قوية تجذبه من عنقه إلى الخلف ، وسمع صوت (أدهم) الساخر وهو يقول :

ـ حتى تفعل ذلك ينبغى أن تكون أكثر خفة منى أيها البدين .. وهذا ما لن تبلغه مطلقا .

ارتعد جسد (أدوين) وهو يقول بتوسُّل ومذلّة :

ـ لا تقتلنى يا سنيور (أدهم) .. أرجوك .

ثم تحولت لهجته إلى التهديد والوعيد وهو يستطرد قائلا :

ـ اتركنى أو يقتل رجالى زميلتك .

زوى (أدهم) ما بين حاجبيه ، وهو يقول بقسوة :

ـ ما كلمة السر لهذه الليلة ؟.. تكلم أيها البدين وإلّا حطمت عنقك .

قال (أدوين) بذعر :



وفجأة أيضًا وقبل أن ينطلق (أدهم) فى أثره تعثر (أدوين) فى جسد (سيمون) الملقى على الأرض ..

ــ لن أخبرك بها أيها الشيطان .. لن أخبرك بها إلاّ إذا أطلقت سراحى .

ثم جمع فجأة خوفه وذعره وقوته ليدفع (أدهم) بعيدا ، وانطلق يعدو محاولا الدوران حول البركة الرخامية متوجها إلى مدخل القاعة ، وهو يصيح مستنجدا :

ــ إلىّ يا رجال .. اقتلوا هذا الشيطان .

وفجأة أيضا وقبل أن ينطلق (أدهم) فى أثره تعثر (أدوين) فى جسد (سيمون) الملقى على الأرض أمام البركة ، والذى لم ينتبه إليه من شدة هلعه ، فترنح جسده البدين الضخم ، وجحظت عيناه ، وانطلقت من حلقه صرخة رعب شوهها صوته الناعم ، وحرك ذراعيه فى الهواء بذعر ، محاولا التشبث بشىء وهمى قبل أن يسقط ببدنه الضخم وسط البركة المائية ناثرا المياه حولها على مسافة بعيدة .

شاهد (أدهم) الأسماك الصغيرة وهى تندفع

بتشكيلاتها المنتظمة نحو مربيها الذى غاص فى قاع البركة ، ثم عاد وجهه يبرز على السطح ، وأطلق صرخة رعب ارتجت لها جدران القاعة ، وهو يمد ذراعيه لـ (أدهم) فى محاولة يائسة للنجاة ، واندفع (أدهم) فعلا محاولا إنقاذه إلا أن الأسماك التى نشأت وسط الدماء انقضت على فريستها بلا رحمة ، وامتلأت القاعة الرخامية بصرخات الألم والفزع التى أطلقها (أدوين مارشال) قبل أن يعود جسمه للغوص وسط أسماكه المفترسة ، واصطبغت البركة بدمائه القانية ، فقال (أدهم) وهو يبعد بصره عن المشهد البشع :

ـــ إنه الجزاء الإلهى العادل يا سنيور (أدوين) ، فمن صنع بركة لأخيه سقط فيها .

* * *

نظر أحد رجال (سكوربيون) نحو (هويدا) ، ثم قال بلهجة قاسية :

ـــ أعدوا حجرا ضخما أيها الرجال ، فبعد دقيقة

واحدة تنتهى المهلة التى حددها الزعيم .

ضحك الرجال العشرة بسخرية ، وقال أحدهم معلقا :

ـــ انظر كيف ترتجف فتاة المخابرات المصرية .. ترى ماذا ستفعل فى أعماق المحيط البارد ؟

نظرت إليه (هويدا) بتحد ، وقالت :

ـــ سيكون الموت أفضل من البقاء مع خنازير مثلكم .

قطّب الرجل صاحب العبارة الساخرة حاجبيه وهو يمسك ذراعها بقسوة قائلا :

ـــ سأقطع لسانك أيتها الحقيرة قبل أن ألقى بك فى الماء .

وفجأة صاح أحد الرجال وهو يشير إلى بعض الأشجار القريبة من الشاطئ :

ـــ انظروا أيها الرجال .

التفت الجميع إلى حيث أشار الرجل ، فوجدوا رجلا

يخرج من بين الأشجار وهو يجرى نحو الزورق ممسكا بمدفع رشاش ، وسمعوه يصيح بجزع :

— إلى السلاح أيها الرجال .. لقد قتل أحدهم زعيمنا .. إلى السلاح .

اتسعت عيون الرجال العشرة دهشة وجزعا ، وحاولوا تبين ملامح الرجل الذى يعدو نحوهم على ضوء القمر ، ولكن الرجل توقف فجأة على مقربة منهم ، ولاحظ بعضهم أنه يصوب فوهة مدفعه الرشاش إليهم ، فأسرعوا يرفعون فوهات مدافعهم نحوه ، ولكن هيهات فالرجل الذى يواجههم لم يسمّ عبثا برجل المستحيل ...

أطلق (أدهم) نيران مدفعه الرشاش نحو الرجال العشرة ، فحصد سبعة منهم فى الحال ، وألقى الثلاثة الباقين أسلحتهم رافعين أذرعتهم فوق رءوسهم باستسلام وذعر ، فصاح بهم (أدهم) :

— سأطلق النار على آخر من يبقى أمام ناظرى أيها الخنازير .

أسرع الرجال الثلاثة يعدون مبتعدين غير مصدقين أن (أدهم) قد أطلق سراحهم ، على حين قفز هو إلى داخل الزورق وقال لـ (هويدا) وهو يدير المحرك :

— فلننطلق من هنا بسرعة أيتها الملازم قبل أن يطاردنا رجال (سكوربيون) .

سألته (هويدا) بفضول وهو ينطلق مسرعا بالزورق البخارى :

— هل حصلت على الميكروفيلم يا سيادة المقدم ؟

أومأ (أدهم) برأسه إيجابا دون أن ينطق بكلمة ، فصفقت (هويدا) براحتيها فى مرح وهى تقول :

— هذا رائع .. تماما مثل أفلام (جيمس بوند) .

نظر إليها (أدهم) بدهشة ، ثم هز رأسه باستهتار وهو يتمتم قائلا :

— يا للنساء !!

ضحكت (هويدا) ضحكة قصيرة مرحة ، ثم قالت :

ـ لقد شاهدت زورقا بخاريا يصل إلى الجزيرة يا سيدى ، وأعتقد أنه يخص مخابرات إحدى الدول المعادية لنا ، فلقد شاهدت وجها يحمل أنفا أجدع ، ولاحظت أن صاحب هذا الوجه يتحرك بعصبية ، وكأنه فى سبيله لإتمام صفقة حسّاسة .

قال (أدهم) بهدوء :

ـ لم يعد هذا يهم أيتها الملازم .. لقد انتهى كل شىء ، وتمت المهمة بنجاح .

شبكت (هويدا) أصابعها ، وقالت :

ـ إذن فيمكننا العودة إلى مصر هذا الصباح .

هزّ (أدهم) رأسه قائلا بصوت يحمل انفعالا عارما :

ـ لا أيتها الملازم ، بل سنتوجه من فورنا إلى مدينة (ستوكهولم) فى السويد .

ثم صمت لحظة قبل أن يتابع قائلا بصوت حنون أدهش (هويدا) :

ـ فلقد تركت قلبى هناك .

* * *

١٢ ــ الختام ..

قفز الدكتور (أحمد صبرى) من خلف مكتبه ليعانق شقيقه (أدهم صبرى) بحرارة ، وهو يقول بانفعال شديد :

ــ مرحبا يا شقيقى العزيز .. لقد أبرق إليك زملاؤك بالتأكيد .. هل رأيت أننى لم أكن مخطئا ؟.. ها قد تحققت المعجزة ، وأفاقت (منى) من غيبوبتها الطويلة .

سأله (أدهم) بلهفة عجز عن إخفائها :

ــ أين هى يا (أحمد) ؟

قال الدكتور (أحمد) وهو يرتدى معطفه على عجل :

ــ فى هذا الطابق فى الغرفة رقم أربع وأربعين .. انتظر سأرافقك .

ولكن (أدهم) لم ينتظر ، بل أسرع بخطوات كالركض مغادرا الغرفة ، فهز الدكتور (أحمد) رأسه وهو يبتسم بحنان ، ثم تنبه فجأة إلى وجود (هويدا) ، فصافحها وهو يقول :

ــ معذرة يا آنسة لقد ألهتنى رؤية شقيقى عن القيام بواجبات الترحيب بك .. لا ريب أنك زميلته الجديدة .. مرحبا بك فى مستشفى (ستوكهولم) .

تمتمت (هويدا) ببعض عبارات المجاملة والشكر ، ثم نظرت إلى باب الغرفة حيث اختفى (أدهم) ، وقالت بصوت ينم عن اليأس :

ــ نعم أنا زميلته الجديدة يا دكتور ، ولكن من الواضح أنه يفضل زميلته القديمة .

* * *

كانت (منى توفيق) نائمة بوجهها الهادئ الوديع عندما اقترب (أدهم) من فراشها بخطوات حرص على هدوئها ، ووقف لأكثر من خمس دقائق يتأمل ملامحها

الرقيقة بصمت ، ثم تناول كفها الصغير بين راحتيه ، واكتست ملامحه بالحنان ، وشعر بأنه عاجز عن النطق وهو ينظر إلى وجهها ..

وكفراشة رقيقة فتحت (منى) عينيها ، وخيّل إليها فى البداية أنها فى حلم عندما رأت عبر الأهداب الطويلة التى تتوج جفونها وجه (أدهم) الباسم ، ثم تنبهت إلى أن كفها يرقد باستسلام بين راحتيه ، وأن ما تراه أمام عينيها حقيقة لا خيال ، فسرى شعور بالدفء فى عروقها ، وارتجف صوتها وهى تنطق باسمه فى خفوت ..

انحنى (أدهم) نحوها ، وقد سرى دفء مشاعرها إليه ، وهمس باسمها فى حنان ، فلم تتمالك (منى) نفسها ، وانهمرت دموع الفرح من مقلتيها ، وهى تقول :

ــ (أدهم) .. لم أتصور مطلقا عندما قفزت بسيارتى فوق سيارة (دونا) أننى سأراك ثانية فى هذا العالم .

أجابها (أدهم) بصوت حان :

ــ أما أنا فلم أفقد الأمل مطلقا يا عزيزتى .

ابتسمت (منى) بسعادة وهى تقول :

ــ الدكتور (أحمد) يؤكد أننى سأعافى تماما بعد ستة أشهر على الأكثر .

قال (أدهم) بانفعال صادق :

ــ سأنتظر ذلك بفارغ الصبر يا عزيزتى .

وفى نفس هذه اللحظة وعبر باب الغرفة المفتوح تأمّلت (هويدا) المشهد الذى يدور بين (منى) و (أدهم) ، ثم تنهدت وقالت للدكتور (أحمد صبرى) بصوت خافت :

ــ كم أودّ أن أصافحها ، وأتمنى لها الشفاء العاجل ، فهى تبدو رقيقة للغاية .

تأمل الدكتور (أحمد صبرى) المشهد بدوره ، ثم قال بحنان :

ـ ليس الآن يا آنسة (هويدا) ، فهذه الفتاة التى ترقد فى فراش المرض هى الزهرة الوحيدة فى حياة رجل المستحيل .

* * *

(تمت)

رقم الإيداع : ٣٦١٩